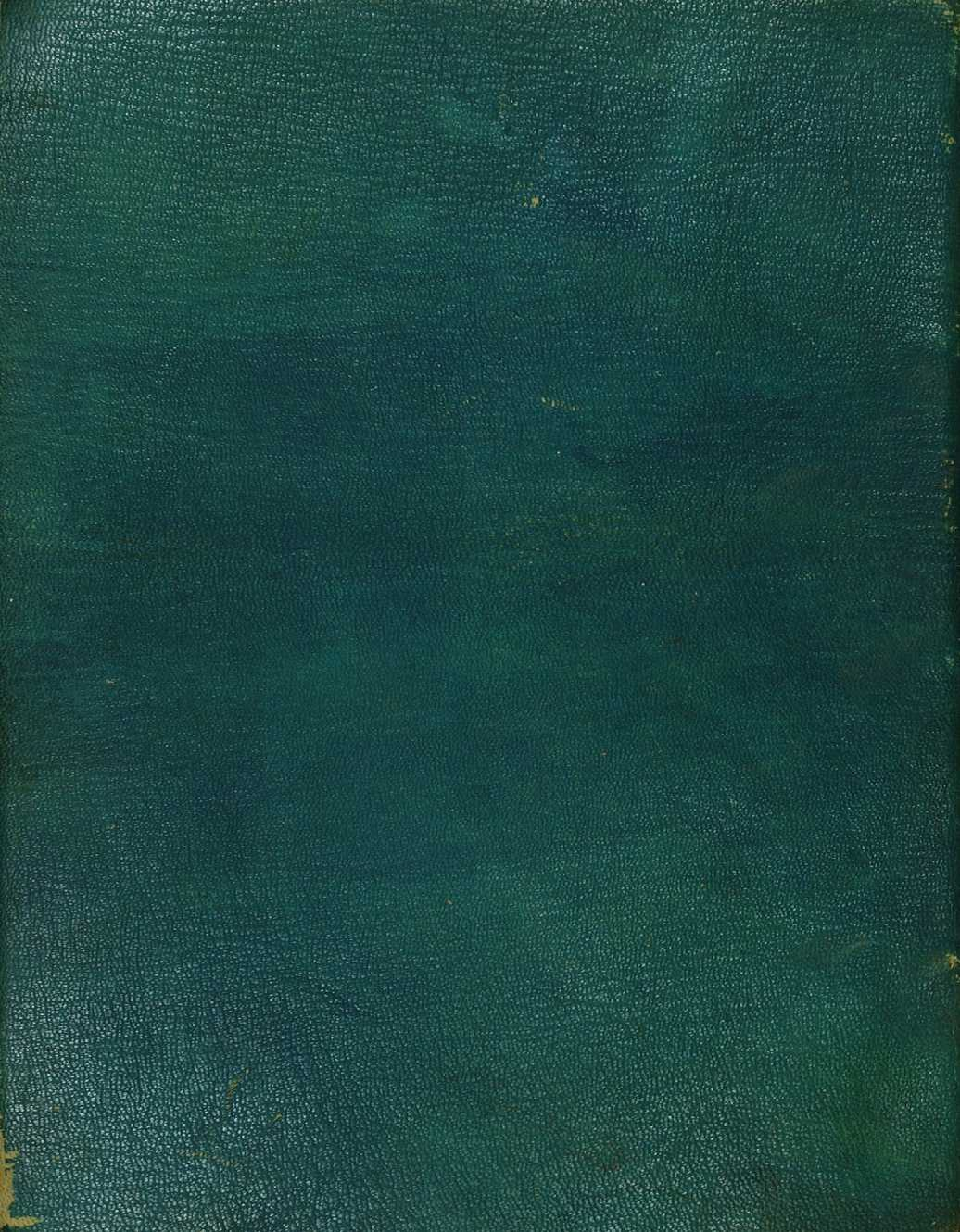



OVAE

٢١٩
ش ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف القاضي عياض ، عياض بن موسى - ٥٤٤هـ. كتبت في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا.

٥٧٨٤ ٢٦٤ق ٢١س ٢٢×١٧سم

نسخة جيدة ، خطها مغربي ، طبع عدة مرات منها في بيروت سنة ١٩٨٤م.

الأعلام ٥ : ٢٨٢ دار الكتب المصرية ١ : ١٢٨

١- السيرة النبوية أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض رحمه الله تعالى

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم قال
الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عياض
بن موسى بن عياض اليحصبي رحمة الله عليه الحمد لله
المنفرد باسمه الأسمى. المختص بالملك الأعز الأحمى
. الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى. الظاهر
لا تخيلا ووهما. الباطن تقدسا لا عدما. وسع كل شيء
رحمة وعلما. وأسبغ على أوليائه نعما عما. وبعث
فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما. وأزكاهم
محتدا ومنمى. وأرجحهم عقلا وحلما. وأوفرهم علما وفهما
. وأقواهم يقينا وعزما. وأشدهم بهم رأفة ورحمى. وزكاه
روحا وجسما. وحاشاه عيبا ووصما. وآتاه حكمة وحكما
. وفتح به أعينا عميا. وقلوبا غلفا. وآذانا صما. فآمن
به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما.
وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما.

ومن

ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى. صلى الله عليه
وسلم صلاة تنمو وتنمى. وعلى آله وسلم تسليما. أما بعد
أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين. ولطف لي ولك بما لطف
بأوليائه المتقين. الذين شرفهم الله بنزل قدسه. وأوحشهم
من الخليقة بأنسه. وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب
ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة. ووله عقولهم في
عظمته حيرة. فجعلوا همهم به واحدا. ولم يروا في الدارين
غيره مشاهدا. فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون. وبين
آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون. وبالانقطاع إليه
والتوكل عليه يتعززون. لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون. وإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن
التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام وما يجب
له من توقير وإكرام. وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك
القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر. وأن أجمع لك
ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال وأبينه بتنزيل صور
وأمثال. فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا
إمرا. وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا. وأرقيتني بما كلفتني
مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا. فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير
أصول وتحرير فصول. والكشف عن غوامض ودقائق من علم
الحقائق مما يجب للنبي ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه
ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة

وخصائص هذه الدرجة العلية وهاهنا مهامه فيح تحار
فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم
تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد
على توفيق من الله وتأييد. لكني لما رجوته لي ولك في هذا
السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم. وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدين
الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ليستيقن الذين
أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما أخذ الله
تعالى على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد
بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان قال ابن
الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أنا علي بن
الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار
يوم القيامة فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض. مؤديا
من ذلك الحق بعض ما اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال. بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي
بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل. وترد بعد حسن التقويم إلى
أسفل سفل. ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله
فيما يحمد غدا ويعد محله. فليس ثم سوى حضرة النعيم أو عذاب

الجحيم

الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يقدمه وعلم
نافع يفيده أو يستفيده. جبر الله تعالى صدع قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا
إليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته
بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في أقسام
أربعة **القسم الأول** في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب **الباب الأول**
في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد من صحيح الأخبار
ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه الله به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا **الباب الرابع**
فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه
به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا **القسم الثاني**
فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب
القول فيه في أربعة أبواب **الباب الأول** في فرض الإيمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول **الباب
الثاني** في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول **الباب
الثالث** في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله تعالى هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني في أحواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم وينقسم الكلام فيه في بابين

الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب أو نقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله ورسله

وملائكته

وملائكته وكتبه وفي آل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها انتجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه أستعين

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه **فكان جل جلاله** هو الذي تفضل وأولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم

أَبُو

يفي من جاء بعده، حتى انتهى علمُ حقيقته إلينا وفاضت
أنوارُه علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا. **حدثنا** القاضي الشهيد
أبو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه قال **حدثنا** الحسين
المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا **حدثنا**
أبو يعلى البغدادي، وقال **حدثنا** أبو علي السنجي قال **حدثنا**
محمد بن أحمد بن محبوب **حدثنا** أبو عيسى بن سورة الحافظ قال
حدثنا إسحاق بن منصور **حدثنا** عبد الرزاق **أخبرنا** معمر عن
قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي
بالبراق ليلة أُسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له
جبريل **أبمحمد** تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال
فارفضّ عرقا. **الباب الأول** في ثناء الله تعالى عليه
وإظهاره عظيم قدره لديه. اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعدِّ محاسنه
وتعظيم أمره وتنويه قدره، اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان
فحواه، وجمعناه ذلك في عشرة فصول. **الفصل الأول** فيما
جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن، كقوله تعالى
لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية. قال السمرقندي: وقرأ بعضهم
من أنفَسكم بفتح الفاء، وقراءة الجمهور بالضم. قال الفقيه
القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى: أعلم الله تعالى المؤمنين
أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين
من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه

ويتحققون

ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه
بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب
قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة،
وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة في القربى،
وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح، وهذه نهاية
المدح. ثم وصفه بعدُ بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم، وشدة ما يُعنتهم ويضرّ
بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته عليه، ورأفته ورحمته بمؤمنيهم.
قال بعضهم: أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم. ومثله في الآية
الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا
من أنفسهم الآية، وفي الآية الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم الآية، قوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية.
وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا، ليس في آبائي من
لدن آدم سفاح، كلنا نكاح. قال ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه
الجاهلية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا. وقال جعفر بن
محمد: علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرّفهم ذلك لكي يعلموا أنهم
لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم
في الصورة، ألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيرا
صادقا، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته، فقال تعالى

من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال الله تعالى وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء
من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل
فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال
صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال عليه
الصلاة والسلام إذا أراد الله بأمة رحمة قبض نبيها قبلها
فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية
ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير
بتأخير العذاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة
للمؤمنين وللكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم
المكذبة وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت
أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت
سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى الله نور السماوات والأرض الآية قال كعب
الأحبار وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره أي نور محمد صلى الله عليه
وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل السماوات
والأرض ثم قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب
كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة يوقد من شجرة
مباركة أي من نور إبراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة
وقوله يكاد زيتها يضيء أي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية
غير هذا والله أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير
هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين وقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وقوله
تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما
وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل
النبوة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية وقيل أراد ما أثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل إذا ذكرت

ذكرت معنى في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل في
الأذان قال الفقيه القاضي أبو الفضل هذا تقرير من الله
جل اسمه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور
الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه
على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله تعالى ذكره
في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا
يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وروى
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أتاني جبريل عليه السلام فقال إن ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت
ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكرك معي وقال
أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية وأشار بعضهم إلى
في ذلك إلى مقام الشفاعة ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة
ولا يجوز جمع مثل هذا الكلام في غيره صلى الله عليه وسلم حدثنا

الشيخ

الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته
على الثقة عنه قال أنا أبو عمر النمري قال نا
أبو محمد بن عبد المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود السجستاني
نا أبو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء
الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي
أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله
تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث
الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب
قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف
على يعصهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث
الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على
يعصهما وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة إلى
الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية
إن الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه

أنه قال من وصلنا عند الله أو جعل طاعتنا طاعته فقال
تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية روي أنه لما
نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول
فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه
حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله تعالى صراط الذين
أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن
عبد الرحمن بن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته
محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق
به أولئك هم المتقون الآية أكثر المفسرين على أن الذي جاء
بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي

صدق

صدق به وقرئ وصدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به
المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الأقوال وعن
مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله
عليه وسلم وأصحابه **الفصل الثاني** في وصفه تعالى له بالشهادة
وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبيء
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له
في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهو من خصائصه صلى الله
عليه وسلم ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى
توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ أبو
محمد بن عتاب نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي
نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري نا
محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله
بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبيء
إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا
وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب
الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق

ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب
له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد
الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي
به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة
وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء
متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس
وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة
ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله
على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الأمي الآية وقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الآية قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته أنه جعل
رسوله صلى الله عليه وسلم رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب
ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله
الله تعالى سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال أبو الحسن
القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم

وفضل

وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله في الآية الأخرى وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك
قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية وقوله تعالى
وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء هل
بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير
فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية إنكم حجة على
كل من خالفكم والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليكم
حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم
قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم
صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن
أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع
صدق عند ربهم قال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة

والبرة من الجفا قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم
قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله
وأعزك الله وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل
أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه عافاك
الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه
من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره
بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف
حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه وبره
به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب
بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم
أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه
لا حرج عليه في الإذن لهم قال الفقيه القاضي وفقه الله
تعالى يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة
خلقه أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب
الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في
السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب

وآنس

وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال
تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله الأنبياء صلوات الله
عليهم بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه
ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر
ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد
نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية
قال علي قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك
الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه
حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني
قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله تعالى الآية
ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله
عليه وسلم وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم
وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال
تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد

إنما يكون من علية الناس ثم أنكر كقوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه
بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت
رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون
إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى
خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال تعالى يا آدم يا نوح
يا إبراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكرياء يا يحيى
ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول يا أيها النبيء يا أيها
المزمل يا أيها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه تعالى
بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى
جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنه ما خلق
الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره وقال أبو
الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال
فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال لي عند ربي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس اسمان له وحكى
أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد
مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا إنسان
أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من أسماء الله
تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل
يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب
يس قسم أقسم الله تعالى به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي
عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن
المرسلين فإن قدر أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم
كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر
عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته أقسم تعالى باسمه وكتابه الحكيم أنه لمن
المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق
لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله
تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه
وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد
وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه

حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت به **يا محمد**
حلال أو حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة **وقال الواسطي** أي نحلف لك بهذا ا
لبلد الذي شرفته بمكانك فيه حيًّا وببركتك ميتاً يعني المدينة
والأول أصح لأن السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى
وأنت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الأمين قال أمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه
فيها فإن كونه أمانٌ حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال الوالد
آدم فهو عام ومن قال هو إبراهيم وما ولد فهي إن شاء الله
إشارة إلى **محمد** صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به
صلى الله عليه وسلم في موضعين **وقال** تعالى الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه **قال ابن عباس** هذه الحروف أقسام أقسم الله
تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك **وقال سهل** بن عبد
الله التستري الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم **محمد**
صلى الله تعالى عليه وسلم **وحكى** هذا القول السمرقندي ولم
ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على **محمد** بهذا
القرآن الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن
هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه
نحو ما تقدم **وقال ابن عطاء في قوله تعالى** ق والقرآن
المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه **محمد** صلى الله عليه وسلم حيث حمل
الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن

للقرآن وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالأرض وقيل
غير هذا **وقال جعفر بن محمد** في تفسير والنجم إذا هوى إنه
محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب **محمد** صلى الله عليه وسلم
هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله **وقال ابن**
عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر **محمد** صلى الله
عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان **الفصل الخامس** في قسمه تعالى
جده له لتحقق مكانته عنده **قال جل اسمه** والضحى والليل إذا
سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة
من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه
الأول القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل
إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة **الثاني**
بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك
وما قلى أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك
الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى **قال ابن**
إسحاق أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة
الدنيا **وقال سهل** أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا **الرابع قوله تعالى**
ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة

وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين وأخرى بادية قال
ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار الفصل الخامس ما عدده
تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله من بغية النبوة من هدايته
إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال
له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما
فحدب عليه عمه وآواه إليه وقيل آواه إلى الله وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك إليه وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك
عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه ثم أمره بإظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى
وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها
وهذا خاص له عام لأمته وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل هو
قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد

صلى

صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على
هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي
يوحى أوصله إليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم أخبر
تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه
على مثل هذا في أول سورة الإسراء ولما كشف له ما كشفه صلى الله
عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت
لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز
عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى
فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع يسميه أهل النقد والبلاغة
بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت
الأحلام عن تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل
اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه
وسلم وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه
وجوارحه فقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم
لا أقسم أي أقسم أنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على
تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده

مقام ثم انه في السماء امين على الوحي فاعلى عيسى وغيره
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم بجميع الاوصاف بعد على
من الله وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني
محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين
اي بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال
تعالى ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم
قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه
عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا غير ممنون ثم اثنى
عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد
بحرفي التأكيد فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن اي
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله
قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه
وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على
فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه

وذكر سوء خلقه وعدّ معايبه متولّياً ذلك بفضله ومنتصراً لنبيّه
صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله
تعالى ولا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك
بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله تعالى له أتم من نصرته
لنفسه وردّه تعالى على عدوه أبلغ من ردّه وأثبت في ديوان مجده

الفصل الثالث فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه
وسلم مورد الشفقة والإكرام قال تعالى طه ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو
اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة
لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من
الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا
تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت قال نا أبو ذر الهروي نا أبو محمد الحموي نا
إبراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر
عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل
ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى الآية ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن

المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل
أو جعلت قسماً لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن
لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً أي قاتل نفسك لذلك غضباً أو
غيظاً أو جزعاً ومثله أيضاً قوله تعالى لعلك باخع نفسك
ألا يكونوا مؤمنين ثم قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله تعالى ولقد
نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله
ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكره
وهوّن عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى
الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله
تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله
ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس
أول من لقي ذلك ثم طيّب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتولّ
عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى
بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى الفصل الرابع فيما أخبر الله

تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وتشريف منزلته على الانبياء
وعلوّ رتبته قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما
آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم
يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون
أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته
وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمننّ به وقيل أن يبيّنه لقومه
ويأخذ ميثاقهم أن يبيّنوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي
بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا
أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمننّ
به ولينصرنّه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة
في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى إنا
أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله شهيدا روي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند
الله أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا
أطاعوك وهم بين أطباقها يعذّبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله

وأطعنا

وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدّما هنا
قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله تعالى عليهم
الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذرّ وقال تعالى تلك الرسل
فضّلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع
بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث الى الأحمر والأسود
وأحلّت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الانبياء
أعطي فضيلة أو كرامة الا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الانبياء بأسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء
عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد لإبراهيم
أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح
عليه السلام الفصل الثاني في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته
عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى
الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله
معذّبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيّلوا لعذّبنا الآية
وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون
نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله

عليه وسلم وقرأيه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون
اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم الله
بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكمهم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية تاويل اخر حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال نا ابو
الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى ابن
زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا ابو
عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم
بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فـ
اذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحوه قوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا
امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم
الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان
بعض العلماء تاول قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني
في الصلاة على هذا اي في صلاة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة

بذلك الى

بذلك الى يوم القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له
دعاء ومن الله عز وجل رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير
حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه
قال تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال
ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له قال وايدك
بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد
صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال
تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه الاية مولاه اي
وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر
وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره **الفصل التاسع**
فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما
كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي
انك مغفور لك وقال مكي جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم

نعمته عليها فقيل بخضوع من تكبر عليها وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل برفع ذكره في الدنيا وبنصره وبفتح لها فأعلمه بتمام
نعمته عليه بخضوع متكبريه وعدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها
له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة
والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة
والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم
العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا
والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم **ثم قال** إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه
من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه
بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله ثم بي من سبقت له من
الله الحسنى وتعزروه أي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغوا
في تعظيمه وتوقروه أي تعظموه وقرأه بعضهم وتعززوه بزاءين من
العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق **محمد** صلى الله عليه وسلم
ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى **قال ابن عطاء** جمع
للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة إلى المشاهدة **وقال جعفر** بن محمد تمام نعمته عليه

أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى
المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
إلى الأحمر والأسود وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا
وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني
التوحيد **ثم قال** إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يعني
بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق
أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم
إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا
قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومشيئته ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم
حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي
كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم
الفصل العاشر فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته
عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه
قبل من ذلك ما قصه الله تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم

وما انطووا عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما
شاهدوا من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وقوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ال
الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما وقع له
في هذه القصة من أخذ أبصارهم بعد تحيرهم في طلبه وخلوصه نجيا في أمره
والأخذ على أبصارهم عنه وعمى وجهه عليهم ووقوفهم على طلبه في الغار
وما ظهر في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة ومنها قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر
حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوءة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه عدوه
ورد عليه بقوله فقال تعالى إن شانئك هو الأبتر أي عدوك
ومبغضك والأبتر الحقير الذليل والمفرد الوحيد أو الذي لا خير
فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم
القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره
وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل
وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن
مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل إن الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن القصص

تثنى

تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى
والنبوءة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله
إليكم جميعا الآية قال القاضي فهذه من خصائصه وقال تعالى
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما قال صلى الله
عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى
بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم
السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه
أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة
له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة وقرئ وهو أب لهم
ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال الله تعالى وأنزل الله
عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوءة وقيل بما
سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام **الباب الثالث**
في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال
في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة

الدنيا ومكتسبة في بنيه ومن ما يجري على يده وينسب الى الله
تعالى لتوليه ذلك منه على قبيل ايضا منها ما يختص بالامر الوضعي
ومنها ما يمتزج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة
لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة
حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله
وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخيرة بالاخروية اذا قصد
بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على
حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو
والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه
لابد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان
شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها
وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل

فصل قال القاضي اذا كانت خصال الجلال والكمال ما
ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت
له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او
سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال
فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين
الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة
للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام
النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء
الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة
والدعاء الى الله وصلاة الله تعالى والملائكة والحكم بين الناس بما
اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة
دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع
الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس

وقلب الاعيان والبصر بالاعين والاطلاع على الغيب وتظليل الغمام
وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا
يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه اياه ومفضله به
لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي
تقف دونها العقول ويحار دون ادراكها الوهم **فصل**
ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله
عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني
الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها
وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء
بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعلاء بن
خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى

افلج

افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل
الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب
الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم
رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا
مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم **قال البراء** ما رأيت من
ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال
ابو هريرة** رضي الله عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في
الجدر **وقال جابر بن سمرة** وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب **وفي حديث ابن ابي هالة** يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر **وقال علي** رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا
بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة
كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة
فيها الكفاية في القصد الى هذا الغرض ان شاء الله وقد ختمنا هذه

الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك إن شاء الله تعالى
فصل وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد
في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني
الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا
أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد
الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا
قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط
ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده
بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم
يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس
الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد
إلا عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت
رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر
أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي
فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله

عليه

عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم
وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي
الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء فلا
نرى منك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبتلع
ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض أصحاب الشافعية حكاه الإمام أبو نصر
بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر
بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم
يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا أنه
صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر
ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر رضي الله
عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم
حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم
ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه

عن عوده، وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح، ألزم
الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح، واسم هذه
المرأة بركة، واختلف في نسبها، وقيل هي أم أيمن، وكانت تخدم
النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: وكان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل، فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا، فسأل بركة عنه، فقالت:
قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم. روى حديثها ابن
جريج وغيره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة. وروي عن أمه آمنة أنها قالت: ولدته نظيفا
ما به قذر. وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط. وعن علي رضي الله عنه: أوصاني النبي صلى الله
عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه.
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ. قال
عكرمة: لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا. فصل وأما وفور عقله
وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن
شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره
أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمائله وبديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر
في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره.

تحقيقه

تحقيقه. وقد قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت
في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم
رأيا. وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله
صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا. وقال
مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وبه فسر قوله: وتقلبك في الساجدين.
وفي الموطأ عنه عليه السلام: إني لأراكم من وراء ظهري. ونحوه
عن أنس في الصحيحين. وعن عائشة رضي الله عنها مثله، قالت:
زيادة زاده الله إياها في حجته. وفي بعض الروايات: إني لأنظر من
ورائي كما أنظر إلى من بين يدي. وفي رواية أخرى: إني لأبصر من
قفاي كما أبصر من بين يدي. وحكى بقي بن مخلد عن عائشة
رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى
في الضوء. والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين، ورفع النجاشي له حتى صلى عليه، وبيت المقدس حين وصفه
لقريش، والكعبة حين بنى مسجده. وقد حكي عنه صلى الله عليه وسلم أنه
كان يرى في الثريا أحد عشر نجما. وهذه كلها محمولة على رؤية العين، وهو
قول أحمد بن حنبل وغيره، وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم، والظواهر
تخالفه، ولا إحالة في ذلك، وهي من خواص الأنبياء وخصالهم، كما أخبرنا
أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه، حدثنا أبو الحسن المقرئ
الفرغاني، حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها، حدثنا الشريف

أبو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن
أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما تجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام كان يبصر النملة
على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا
أن يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب
بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد
جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه
إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا
وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد
أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه
كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا
كأنما ينحط من صبب **فصل** وأما فصاحة اللسان وبلاغة
القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع
وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوا-
جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب
كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع
بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه

وتفسير

وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي
المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي
والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضـ
ـرموت وملوك اليمن وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من
دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد **اللهم**
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من أقام الصلاة كان
مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط
في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا
يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتأكلوا الرباق من أقر فله
الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل
بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب وفيه في التيعة
شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى

مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال فاين
هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس
بما يعلمون وقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي
لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع
كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط
والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة

المال

المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله
اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم
ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم
اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها
رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني
اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر
قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد
ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف
انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في
اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر
في ادنى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له
بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالاهي

الذي مرت به الوحوش الذي يجيء بحمله فتبشر وقالت أم معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم فصل وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج
إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني
هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل
أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي
أبو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد حدثنا
أبو محمد السرخسي وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا
يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى
كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن

الله

الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار
منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم
أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض
العرب فببغضي أبغضهم وعن ابن عباس أن قريشا كانت نورا
بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك
النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهبطني
الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة
والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح
قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور فصل وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه
مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل
في كثرته وضرب تختلف الأحوال فيه فأما ما التمدح والكمال
بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن
كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة
الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد
وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن

كما أن كثرة النوم بالليل علة الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر وعدم نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد
مشاهدة وينقل متواترا من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين
وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما
لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم
به وقال النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخبر من منزل الخير بالأقل
منها ما لا يرفع من شبعته ومن الزم نفسه وحض عليه ما يستبان من
احرمها بالاجر حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه
قال حدثنا أبو الفضل الأصبهاني قال حدثنا أبو نعيم الحافظ
قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا
عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وتمام كثرة النوم
من كثرة الأكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا
فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه
كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة الأيدي وعن عائشة
رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وأنه
كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل

وما

وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وقد يعترض على هذا بحديث
بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب سؤاله
ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد بيان
سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه
به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة
ولنا هدية وحكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وصح الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو
التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما
كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على
شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا
ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على
الجانب الأيسر أهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة
حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول
وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره
الاستغراق وحصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره

كالنكاح والجاه. اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به
سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة
اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقال تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم
الامم يوم القيامة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول
فلينكح فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما
يقدح في الزهد. قال سهل بن عبد الله قد حبب الى سيد المرسلين فكيف
يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله
عنهم كثيري الزوجات والسراري وكثيري النكاح وحكي في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبا. فان قيل كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى
بن زكرياء عليه السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح. فاعلم ان ثناء الله تعالى
على يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او
لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه
معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان
عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم

قمعها

قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب
فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم
الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام
حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من امر
دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التي
ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على
الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه
ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة
عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام
بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير
منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه
صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام
قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى
مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر

من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا ازكى واطهر
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان
ماء مائة رجل او تسع وتسعين وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة
سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة
وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله
تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه
عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه
السلام وجيها في الدنيا والآخرة ولكن آفاته كثيرة فهو مضر
لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم
قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون
اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته
واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق
فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا
قام بين يديه فارعد فقال له هون عليك فاني لست بملك الحديث

فاما

فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره

فصل

واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند
العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه
والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة
في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل
الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل
حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل
اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه
غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء
والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء
فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي

خازن

خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل
لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز
واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك
إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه
ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا
أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة
فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال
الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه
ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها وترك ذلك زهدا

وتنزها

وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها
وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل** وأما الخصال المكتسبة
من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما
فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن
الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها
دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى
الله بذلك عليه **فقال** تعالى وإنك لعلى خلق عظيم **قالت**
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق **قال**
أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر
الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما
عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام
بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة
في الفطرة **قال الله تعالى** وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون

أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه قال معمر
كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله هو يحيى بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
في بطن أمه وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه
بقوله ألا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك
اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو
طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل
أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم عليه السلام بعث الله
إليه ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانتا وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح كان
وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحى الله تعالى إلى يوسف وهو صبي
عندما هم إخوته بإلقائه في الجب بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم

بأمرهم

بأمرهم هذا الآية إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم وقد حكى
أهل التفسير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى
السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم
وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وقد نجد
غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل
عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة
وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين
الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض
السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما أصلناه وقد روى سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا
الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه

والجرأة والجبن غرائز يجعلها الله حيث يشاء ومنها الاخلاق
المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ونحن نذكر اصولها ونشير الى
جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله **فصل**
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه
ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه
منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة
محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري احواله واطراد
سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع
وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي
اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه
في معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب
من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك
حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول
بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط

به

به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه
وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما كان
وما يكون وعجائب قدرته وعظيم ملكوته **قال الله تعالى**
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط
بذلك او ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو
مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم
حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى
به نبيه صلى الله عليه وسلم **فقال تعالى** خذ العفو وامر بالعرف
الاية **روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية
سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم
ثم ذهب فأتاه فقال **يا محمد** ان الله يأمرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية
وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل **وقال**
وليعفوا وليصفحوا الاية **وقال تعالى** ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم
قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم
لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما **حدثنا**
القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن

عتاب حدثنا أبو بكر بن وافد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى
حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان
أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك
على أصحابه شقا شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض
من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا
فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي
أبو الفضل وفقه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم
ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد ثم أظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده
في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال

ويحك

ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد
من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول
الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس
قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو
قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني
قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم
يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح
أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا
وفعلا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا لئلا يتحدث أن محمدا يقتل
أصحابه وعن أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك
ولا من مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال
الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال
لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة

رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا
قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة قط
وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع
ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن
القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث
وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب
إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا
وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا
تزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث
عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن
نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة
إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله
عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة
خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني فاعل بكم
قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف

لا تثريب

لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط
ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل
الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد
سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم
فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك
وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا
وأسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل وأما الجود والكرم
والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها
بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة
الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي
الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي حدثنا
أبو ذر الهروي حدثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي
وأبو إسحاق البلخي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا البخاري
حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله
يقول ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن أنس

رضي الله عنه وسهل بن سعد رضي الله عنه مثله وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء
من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان
مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى
العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها
وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق
ولا تخش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال
من ذي العرش
بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني
ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر
شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه

قضاء

قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند
استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه
وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي سراج
حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر
حدثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم
حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد
غيره انا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال
غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها
ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا اوضأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله

عنه انا كنا اذا احمر البأس **وروي** اشتد البأس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو
منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو
اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع
هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو منه لقربه منه
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت
واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن
تراعوا **وقال عمران بن حصين** ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب وتقدم انه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
اين **محمد** لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى
يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي
على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني **محمد** وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان
ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي

لقتلني

لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء
فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات
اغضاء **قال الله تعالى** ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي
منكم الاية **حدثنا** ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه **حدثنا** ابو القاسم
حاتم بن محمد **حدثنا** ابو الحسن القابسي **حدثنا** ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف **حدثنا** محمد بن اسماعيل **حدثنا** عبدان **انا**
عبد الله **انا** شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء
من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان
صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما
يكرهه حياء وكرم نفس **وعن عائشة** كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي
فاعله **وروى انس** انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا
وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا
ويروى ينزعها **قالت عائشة** في الصحيح لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص **وروي** عنه انه كان من

حياءه لم يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام
اليه مما يكره وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه
صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار
الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام كان
اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته
على غيره قال حدثنا ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت
يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس
بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا واوطا عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب
فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو

المنصرف

المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس خلقه وبسطه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى
ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو
كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم
صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها قال
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد
من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ اسلمت ولا رءاني
الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة
والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال
انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي
راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس
له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم
ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل

عليه وربما تبسم له تونيسه وتبوئته بالمساواة التي تغنيه ويغض
عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب
أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام وروي أنه كان لا يجلس إليه
أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد
إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو
يخطب وقال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان خدم المدينة يأتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء
فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة
الباردة يريدون به التبرك فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة
لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى
أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى
نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله
بن محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري
حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو الطاهر
أنبأنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة

قال

قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال والله لقد
أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى
إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا
فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب
المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله
وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك
قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت
فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال
نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها
منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو
تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه
أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي
شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على
أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء
مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام لولا أن أشق

على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته
ربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه
وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة
ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما
كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله تعالى قد سمع
قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن
المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء
وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل
بقراءتي عليه حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحاق الحبال

حدثنا

حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان
عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا
منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي
بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت
على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح
اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما
خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو
افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي
باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه الصلاة والسلام
بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا
قام حملها على عاتقه وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا
لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة
الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان

اخبتت افيت عن مكرمة محببة او متعتها ورجعت الى قومها فاختارت
قومها فمتعها **وقال ابو الطفيل** رايت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته **وعن عمر** بن السائب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من
الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة
مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من
قرابتها فقيل لا احد **وفي حديث** خديجة رضي الله عنها انها قالت
له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل
الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق **فصل** واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان اشد الناس تواضعا واعدمهم كبرا وحسبك انه خير بين
ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد
ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع **حدثنا**
ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة
سنة سبع وخمسمائة **حدثنا** ابو علي الحافظ **حدثنا** ابو عمر **حدثنا**
ابن عبد المؤمن **حدثنا** ابن داسة **حدثنا** ابو داود **حدثنا** ابو بكر
بن ابي شيبة **حدثنا** عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس

عن

عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا
كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد اكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه
ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين
اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس **وفي حديث**
عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله **وعن انس** رضي الله عنه
ان امراة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة فقال
اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي
حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من
حاجتها **قال انس** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار و
يجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف
عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب
قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم **فقال اللهم** اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما
فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه
حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه
وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء
ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث

يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية
ذاك إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن
شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه
ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس رضي الله عنه إن كانت
الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته
من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة
من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق
مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح
وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب
يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل
منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق
بشيئه أن يحمله فصل وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل
الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك
محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحاق كان يسمى
الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال الله تعالى
مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ولما

ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا
به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم
والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض حدثنا أبو علي
الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال أبو الفضل ابن خيرون قال
حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ
حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي
إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره
لا نكذبك ولا أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا
جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله
إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا
سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال
قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما
حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا
رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله

ما هو بسام، وفي الحديث عنها ما تمت بردة بزار أي فهو
لا يملكا رقعا وفي حديث علي في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق
الناس لهجة وقال ابن الصبي وجاءني بعوالي لم أغول بخبث
وخبث ما أر لم أغز قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن
إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه قال [illegible] لله در
قسم كسرى أيامه فجعل يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه
ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ
نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم
جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة
من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر وفي
[illegible] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف
أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر [illegible]
عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء
مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله
برسالته قلت ليلة لغلام كان معي يرعى لو أبصرت لي غنمي حتى
أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول

دار

دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت
ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك
بسوء. فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته
ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة
وعارضنا بكتابه قال حدثنا أبو العباس الدلائي أنا
أبو ذر الهروي أنا أبو عبد الله الوراق أنا اللؤلؤي أنا
أبو داود أنا عبد الرحيم بن سلام نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن
ابن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن
زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن
جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته
يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب وفي الحديث
إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل

أو غيره فيه ولا كسلا وقال عبد الله ابن مسعود إن أحسن الهدي
هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر ابن عبد الله
رضي الله عنهما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر قالت عائشة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه وكان صلى الله
عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا
ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه
عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي والأمر
بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة
فصل وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها
وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في
نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا الحسن سفيان ابن العاصي والحسين ابن محمد الحافظ
والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا حدثنا أحمد ابن عمر قال
حدثنا أبو العباس الرازي قال انا أبو أحمد الجلودي انا
ابن سفيان انا أبو الحسين ابن الحجاج انا أبو بكر ابن أبي شيبة
انا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة

ترسيل

ابن سفيان

رضي

رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى
من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه ما لا يخطر ببال
وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وقالت عائشة ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو ابن الحارث ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة قالت عائشة
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف
لي وقال لي إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه
فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك
وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه
فقال له إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن
أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فأطرق
ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من
لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله
عنها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن
هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن ابن عوف قال توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن

حريث

وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه. قال ابن عباس: كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء. وعن أنس رضي الله عنه قال: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط. وعن عائشة: إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. وعن حفصة رضي الله عنها قالت: كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال: ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال: ردوه بحاله فإنه منعتني وطأته الليلة صلاتي. وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وعن عائشة قالت: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول: يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي. قالت: فما أقام بعد إلا

شهرا

في بيتي

ردّ

بشريط

استحيي

شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم. فصل: وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا أبو القاسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا. زاد في رواية عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد. وروي هذا الكلام: وددت أني شجرة تعضد، من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث المغيرة: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبدا شكورا. ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة. وقالت عائشة: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر

قربه

ويقوم حتى يقول القائل لا يصلي ونحوه عن ابن عباس وام سلمة
والاسود وقالت لكنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته
مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف ابن مالك كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ
ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية
رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ ال عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من
قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وال
عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم باية من القرءان ليلة وعن عبد الله ابن الشخير
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز
كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى
الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين
مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب
اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن
رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي

والكبرياء

وفي رجل فرق من غرامي

انسي

بالله

والرضاء

والجهاد

والحياء خلقه وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي عز وجل فصل
اعلم وفقنا الله واياك ان جميع الانبياء والرسل صلوات
الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن مثل هذه الصفات لانها صفات الكمال
والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله
عليهم اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثم قال في اخر الحديث على
خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله
ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى
عليه السلام فاذا هو رجل ضرب رجل كانه من رجال
شنوءة ورايت عيسى عليه السلام فاذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر
مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال
في حديث اخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال وعن حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا
الا في ذروة من قومه وروي في ثروة اي كثرة ومنعة

وحكوا انه مزوج فتاة ثم ورواه البزار والطبراني من حديث قتادة
عن انس ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا صلى الله عليه وسلم
وفي حديث من قولوا ما تدعي نفسه عن ذكرنا انه فيكم ونصب
وكذلك الا من تبعث في اصحاب فوقها وقال تعالى في ايوب
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى
خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران الآية يبشر وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى
الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام
رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف
جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي
الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا
له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده وقال وجعلهم
باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة
وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله

من نعمت

ستيرا
استحياء

من

من الصالحين وقال في اسماعيل انه كان صادق الوعد الآيتين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب
وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي
والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب الى قال وشددنا
ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء
الله صابرا وقال تعالى عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات قال سفيان هو
الحزن اللازم في القلب ثم ذكر فيها خطابهم وغير ابنائهم
الدالة على كمالهم وجلالة قدرهم في آي من القرآن كثيرة كقوله
صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي
ابن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا
تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس
العابدين ويا محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على واوحى الله اليه
الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل
ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع

في الخيرات

بما أشتهى الجائع ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج
فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله
تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
يسأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت المال وقال صلى الله
عليه وسلم أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام
إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره إلى السماء حياء من
ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب
من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدودا وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل
لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال أنا أكرم على الله تعالى
من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت
أينما أدركه النوم نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين
وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم إن كان
الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم
من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير من لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق

بالسوء

الجوع
أو قرءان الزبور

بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي
من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش وكان يأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد
أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه الله به من كلامه
وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل
الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا فصل قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها
له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون
نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا
أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه
الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه
كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره ومطايله وتعلقه بتنبيه لطيف
على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ
رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الإمام
أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأنا عليه وأخبركم
الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري

ح
بسوء
ويأكل
وحكيناه
وجلبناه
قوله
بقل من كل
أي قليل من كثير

والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن البحيري
والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا نا
أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي حدثنا أبو
سعيد الهيثم بن كليب الشاشي حدثنا أبو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا
جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني
رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله
عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة قال
القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد
بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز
لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا نا
أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
بن حرب بن مهران البزاز قرئ عليه فأقر به قال حدثنا أبو
محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن
الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي
قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن
أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ
لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى

الله

الوخشي

خذاداذ معناه بالفارسية عطاء الله

الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا
أتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر
من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق
وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون
واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم
كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل
الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين
والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الأطراف أو قال شائل الأطراف سبط القصب
خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا
ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط
من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى
الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست
له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام

وفرة

متماسك

مسيح

سائل الأطراف

ويفتتحه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت
لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض
للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار
أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب
بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح
غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه
فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك وكان إذا
أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا
لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على
العامة ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الأمة
إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم
ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم
ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة
من لا يستطيع إبلاغها فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا
يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده
إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال وحدثني سفيان بن وكيع

يدخلون

براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى

وقسمه

يصلحهم من مسألتهم

يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني
فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل
الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا
لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره
الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة فسألته
عن مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن
الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي
به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو
بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق سواء متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الأخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر
وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
ويروى الكلمة من غير ذي ... متعادلين يتفاضلون بالتقوى متواضعين

يدخلون روادا

يعنيهم

عن أحد منهم

ولا تنثى

بوفور وهيبة الكبير ومن عموم النفع ومن فروع ذا الحاجة
ومن عموم الغريب **فسألته** عن سيرته صلى الله عليه وسلم
في جلسائه **فقال** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عيابا ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث المراء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما
يرجو ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير
وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده **الحديث** من تكلم عنده
أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث
أوليهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر
للغريب على الجفوة في منطقه ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة
يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على
أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام. هنا انتهى
حديث سفيان أي وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى
الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكر فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس وأما
تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسنى
ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما أصلح أمته
والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة **انتهى الوصف**

من الإرفاد
صخوب
مزاح
يخيب فيه
من أمر

بحمد

بحمد الله وعونه **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله
قوله المفخم أي البادي الطول في فخامة ومثل قوله في الحديث
الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر
قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة **ويروى** عقيصته
والأزهر اللون النير وقيل الأزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا
أي زينتها ومنه ما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق
ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب
الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف
المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين
وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا والمسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمكلثم ومعنى
لا مكلثم أي ليس بمستدير الوجه والمكلثم القصير الذقن
وسواء البطن والصدر أي مستويهما وفسيح الصدر إن كان منه
للفخامة فيكون من الإقبال ومن أحسن معاني إشاعة أنه كان بادي

الممغط
المتمغط
من ذات نفسها

النور ولم يكن في صدره فحش ومن تطلع فيه وبه يتضح قوله
قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظ فسيح بالسين وفتح الفاء بمعنى عريض كما وقع في الرواية
الأخرى وفي كلام ابن أبي هالة والكراديس رؤوس العظام ومنه قوله
في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين غليظهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن
الأنباري أنه روي وسائن الأطراف أو قال سائر بالنون قال وهما
بمعنى تبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية
الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت
مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم
وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم ومسيح
القدمين أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث
أبي هريرة خلاف هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له
أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح
ابن مريم أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ
الميل إلى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو أي أن مشيته كان يرفع فيها رجليه بسرعة ويمد خطوه
خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون

التثبت

عجلة

عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه
بأشداقه أي لسعة فيه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم
وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك
بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها
في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه
وطالبين لما عنده ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم
يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر
والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره
أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي
لا يذكرن فيه بسوء ولا تنثى فلتاته أي لا يتحدث بها أي
لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت ويرفدون يعينون
والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء إلا
من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم
وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه
وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه
صلى الله عليه وسلم منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب
الأشفار أي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح
الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته

وما خصه به في الدار من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف
أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند
الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى واعلم أن الأحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه عز وجل
والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم
وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا ولفظه
حدثنا أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي
بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الأعمش
عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قسم الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب
الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل
القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى
أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون
فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل
فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا
وقبائل الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر

حدثنا

ثم

ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله
تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية

وعن أبي سلمة عن أبي هريرة قالوا يا رسول الله متى
وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد **وعن**
واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد
إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **وفي حديث**
أنس رضي الله عنه أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر **وفي**
حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر **وعن**
عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أتاني
جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها
فلم أر رجلا أفضل من **محمد** ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم
وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي
بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل
أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض
عرقا **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم
يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى
أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار

وفي

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

وفي بعض النسخ ابيات اخر وهي قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق
يا برد نار الخليل يا سببا لعصمة النار وهو محترق

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس
وأبو موسى وجابر بن عبد الله أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها
ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لي الأرض مسجدا وطهورا أيما رجل من أمتي أدركته الصلاة
فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس
كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة
وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف
علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود
قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من
السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر
الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي

الله

الله عنه نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم
إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه
وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر أنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر
إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله
ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع
الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب
اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا
وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى
ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع
اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك
ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في
الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد من قبلك وجعلت قلوب
أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك
وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه عز وجل أول
من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا
ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني

زنجهم والحمرة وان الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وكتب لي
وفي امتي الشفاعة واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا
في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيامة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا
وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر
لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى
يوم القيامة وفيه كلام يطول من اخفيته وقد بسطنا القول
فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات **وعن علي**
رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء واعطي نبيكم صلى الله
عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود و
عمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار **وعن العرباض بن سارية** سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيئين
وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى
ابن مريم **وعن ابن عباس** قال ان الله فضل **محمدا** صلى الله
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال
لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال **لمحمد**

ومعنى ح

لمنجدل

وعدة

صلى

صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا
فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الآية وقال **لمحمد** وما ارسلناك الا
كافة للناس **وعن خالد بن معدان** أن نفرا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم وبشر بي عيسى ورأت امي حين حملت بي
انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت
في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض **وفي حديث آخر** ثلاثة
رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في
غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بالثـ
لج حتى انقياه **قال في حديث آخر** ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي
فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على
مفرق صدري فالتأم **وفي رواية** ان جبريل قال قلب وكيع
اذنين فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني

مغزل

بعضهم فوق بعض ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال
في الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين
عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير
لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله
إن الله معك وملائكته قال في حديث ابن دينار فما هو إلا أن
وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد المكي
وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال
له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى
عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت
أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى
الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه
ما خلقتك قال وكان يكنى آدم بأبي محمد وقيل بأبي البشر
ويروى عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتهم
كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
ويروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب

لا الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير
عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار
كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها أنا الله
لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله
عنهما على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد
رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة
القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري
أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب
لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الأخباريون
أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله
محمد رسول الله ويروى عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم
القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد إلا نموا ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر
أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه أن الله تعالى نظر إلى قلوب
العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه

من بعده أن آدم قام خطيبا فقال يا معشر أهل الجنة إن الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نساءه على نسائكم تفضيلا
الحديث. فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من
المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة
المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله
عليه وسلم قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما
نبه عليه الكتاب والسنة العزيز وشرحته صحاح الأخبار
قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الآية وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى ولا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به صلى الله عليه
وسلم إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص
نبينا صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن

مجز

نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي
أبو عبد الله التميمي وغيره من شيوخنا قالوا حدثنا أبو
العباس العذري حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد
الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس

فربطته

فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فقيل من أنت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث
إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه
قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن
مريم ويحيى بن زكرياء صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا
بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله
فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا
بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة
فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى
البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان
الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي
تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى

الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى
موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى
ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني
إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط
عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون
ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي
تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى
موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي وفقه الله جوّد ثابت رحمه الله هذا
الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا
وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
ابن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف
أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد أنها كانت قبل
الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن أنس من رواية
حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو

يلعب

يلعب مع الصبيان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الإسراء كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي أن الإسراء
إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه
وصل إلى البيت المقدس ثم عرج من هناك فأزاح كل الإشكال أوهمه
غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل
ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج
بي إلى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله
عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات وحديث ثابت
عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم
فقالا والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس ثم انطلق بي
حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم
أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
بكى موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي
هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت

الغلمان
كثيرة من غير حديثه
البيت
ظهرت

الصلاة والتسليم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم
سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا
حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح
الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم
وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عز وجل
فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة
وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا
ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها
ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع
ابن أنس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد

من

من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار
من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما وإن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور
وغشيتها الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى
فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا
وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود
ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين
والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت
عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته
وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له
ربه تعالى قد اتخذتك خليلا وحبيبا فهو مكتوب في التوراة
محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك
هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا
وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك
وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الأخرى
قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي
الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك

بالله شيئا من أنه من المعجزات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآية
رأى بعينه بل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك
أنه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع
علي أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء
ببيت المقدس [illegible] رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه
السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر
فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى فسمت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه
حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء
ورأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب وفوقه الدر والياقوت
ثم أوحى الله إلي ما شاء أن يوحي وذكر البزار عن علي ابن
أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله
صلى الله عليه وسلم الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله
ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها
حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك إذ
خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا وإن هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر

الله

الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال
الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي
أنا الله لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر
جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم أخذ
الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم أهل السماء فيهم
آدم ونوح قال أبو جعفر محمد ابن علي ابن الحسين
راويه أكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على أهل السماوات والأرض قال القاضي وفقه الله ما في هذا
الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط
بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب
يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل
عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج
من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل على أن هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي
الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمر ما

من عظيم آياته أو مبادئ وحقائق معارجه فأمر أعلم به كما
قال تعالى واسأل القرية أي أهلها وقوله فيكلم من وراء حجاب
الحجاب من عبده أنا أكبر فكلامه له أنه سمع في هذا الموطن
كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب أو وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فإن صح القول بأن **محمدا** صلى الله عليه وسلم رأى ربه
عز وجل فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله أعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء
هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة
إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء
حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية **وحكي** عن الحسن والمشهور
عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي أريناك **وما حكوا عن عائشة** رضي الله
عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا
نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال
في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف
والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن
صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو
قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر

المتأخرين

والمتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت
طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء
بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه
قالوا ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى
لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل
صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من
صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا
عن ظهر البراق حتى رجعا **قال القاضي وفقه الله**
والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار
والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل
إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته
استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما
كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا
كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به
إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا
وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى

ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس وفي
من دلائلنا أنه أسري به في السماء على ما روي وغيره وذكر مجيء جبريل
له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي
بعض هذه الأخبار فأخذ بيدي جبريل فعرج بي إلى السماء
إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما
ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه
وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي
ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب
المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ ما أسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة
صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ
لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت
بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون
وهذا بين في أنه بجسمه وعن أبي بكر من رواية شداد بن
أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به
طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن

جبريل

جبريل عليه السلام حملني إلى المسجد الأقصى وعن عمر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري
بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية
وذكر الحديث وهذه النصوص ظاهرة كلها غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف
بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر
القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس أتيت فانطلقوا بي إلى
زمزم فشرح عن صدري وعن أبي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني
في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها
فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه
عن جابر وقد روي عن ابن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم رجعت إلى خديجة
وما تحولت عن جانبها فصل في إبطال حجج من قال إنها
نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا
فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه
لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا
عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد
لأن كل أحد يرى مثل هذا في منامه من الكون في ساعة واحدة
في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في
نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها منا

في الحديث مناما وهو قوله في حديث وانا بين النائم واليقظان
وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه
اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله
والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة
كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر
بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول الليل وانما
كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد
الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السماوات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من ايات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد
الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستغراقه حقيقة على
مقتضى نفسه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء
ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان
يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله
في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما
قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا نائم
في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى

الاخرى

الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا ومذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادة انما من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب عز وجل
الواقعة في هذا الحديث انما هو من رواية شريك عن انس فهي
منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان
في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث
قبل ان يوحى اليه والاسراء بالاجماع كان بعد المبعث فهذا كله
يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه
انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك ابن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك ابن
صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث ولقول عائشة
ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن
حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف
في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة
بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل
قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك
عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع
نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة رضي الله
عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ

وما ذكرنا فيه حديثه وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا
يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها
أن تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره
فإن قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه
للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس
قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف
الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
ما أنكر قلبه ما رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه
وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة حدثنا
أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني
أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس
بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم
بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا
محمد بن آدم حدثنا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه
قال لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن
محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآية
وذكر الحديث إلى آخره وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما

رأى

رأى جبريل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه
وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحاق أن
ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه
فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من
طرق وقال إن الله تعالى اختص موسى بالكلام وإبراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى قال الماوردي قيل إن
الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي
وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن
الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم
فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد فكلمه موسى
ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن أبي ذر رضي الله عنه في تفسير
الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني وروى
مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت
ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد
ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل
أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن
أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه
حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل
رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال
سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل
الآية عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال
رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح
صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي
بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى
الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من
الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا وخص من بينهم
بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه
دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل
وفقه الله والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في
الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما
لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه

ومشاهدته

ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال الله
الله تعالى لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا
مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في
الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية
وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه
الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار
وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني وقوله
تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال
معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع
وإنما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك
أي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله لن
تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات
وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى
في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة

من خلاله قبلنا والعلماء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان
في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار
أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك
ابن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا
كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف
القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء
الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى عليه
السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية
منحاهما لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد
ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى
عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار
دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو
ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر ابن محمد شغله بالجبل
حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على
أن موسى عليه السلام رآه وقد وقع بعض المفسرين في الجبل أنه
رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله
دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع
وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول أنه رآه بعينه

فليس

٦٤

فليس فيه قاطع ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع
فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده
لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ
محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي
ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى
بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر سألته
فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة
الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله
وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله
نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا
مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره
بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله تعالى
قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء
لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب
المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله
الموفق للصواب

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته
لله تعالى وكلامه معه بقوله فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما
تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله عز وجل
إلى جبريل وجبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا شذوذا منهم

فذكر عن جعفر بن محمد الصادق وقال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه
عن الواسطي وإليه ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه
في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره
آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله
عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت
الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد
ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا
بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام
من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع
الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث
قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة
مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون
واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو
أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك
ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع
قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى

لموسى

لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ
مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد
سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم
فوق بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو
أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من
السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى
واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من
محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا
من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء
أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه
ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات
وسمعت كلام ربي عز وجل وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث
الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال

جعفر

جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر
ابن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام
عن دنوه ودنا **محمد** الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال
القاضي ابو الفضل** وفقه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو
والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما
ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه
وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله
تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان **قال الواسطي** من توهم انه بنفسه دنا
جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن
درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد **وقوله** قاب قوسين او ادنى
فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من **محمد** صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة
والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة

والقبول

والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر
تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضي ابو علي
حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا **حدثنا** ابو علي السنجي
حدثنا ابن محبوب **حدثنا** الترمذي **حدثنا** الحسين بن يزيد
الكوفي **حدثنا** عبد السلام ابن حرب عن ليث عن الربيع ابن انس عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي رواية ابن زحر عن الربيع ابن انس في بعض هذا الحديث انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون **وعن ابي هريرة**
رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري **وعن ابي سعيد**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة
وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر **وعن ابي هريرة** عنه صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وانا اول من تنشق
عنه القبر واول شافع واول مشفع **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما
انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول

مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها
معي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر
وعن أنس: أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعا
وعن أنس رضي الله عنه قال النبيء صلى الله عليه وسلم: أنا سيد
الناس يوم القيامة، وتدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين
وذكر حديث الشفاعة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه
وسلم قال: أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة. وفي
حديث آخر: أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم
القيامة، أما إبراهيم فيقول: أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من
أمتك، وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى، وإن
عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي، وأنا أولى الناس به. قوله: أنا
سيد الناس يوم القيامة، هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة، ولكن
أشار صلى الله عليه وسلم إلى انفراده فيه بالسؤدد والشفاعة
دون غيره، إذ لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد
هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ سيدا منفردا
من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه، كما قال تعالى:
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، والملك له تعالى في الدنيا
والآخرة، ولكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا
وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى. وعن أنس رضي الله عنه
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آتي باب الجنة يوم

القيامة

القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول:
بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه
أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء،
من شرب منه لم يظمأ أبدا. وعن أبي ذر نحوه، وقال فيه: طوله ما بين
عمان إلى أيلة، يغت فيه ميزابان من الجنة. وعن ثوبان
مثله، وقال: أحدهما من ذهب والآخر من ورق. وفي رواية
حارثة بن وهب: كما بين المدينة وصنعاء. وقال أنس: أيلة
وصنعاء. وقال ابن عمر: كما بين الكوفة والحجر الأسود. وروى
حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن
عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي
وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر
ابن الخطاب وابن بريدة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي
وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء بنت أبي بكر
وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين
فصل في تفضيله بالمحبة والخلة، جاءت بذلك الآثار
الصحيحة، واختص على ألسنة المسلمين بحبيب الله. أخبرنا
أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد
حدثنا أبو الهيثم، وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا
عليه، وحدثنا القاضي أبو الوليد، حدثنا عبد بن أحمد، حدثنا

أبو الهيثم حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح
حدثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي
حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ إبراهيم
من خلقه خليلا وقال الآخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله
تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه
الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله تعالى
اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى
روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا
حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا
أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قول الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب
في التوراة أنت حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل وفقه
الله اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع
إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص

تخذ

المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة
الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه
وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله
الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي
بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار
فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر ابن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال
بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله تعالى وقالت
اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا
والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
الآية ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة فإذا تسمية إبراهيم
ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط
والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه
عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار إلاهيته ومكنون غيوبه
ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستكمال قلوبهما عمن سواه
حتى لم يخللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع

فلة الخؤولة وهو غير منه معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو
كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة
المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة
وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه
وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي عز وجل فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة
ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل
ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا
في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق فاما الخالق فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه
من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة
رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا
ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن
هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

فاذا

فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه
وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول
من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى
اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم فانزل
الله غيظا لهم ورغما على انفهم هذه الآية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم
توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب
الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام
المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان
قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع
من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته
في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
الآية والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له
يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك

فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع
لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجا
هد وروى ذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي
يبعثه الله فيه قال قلت نعم قال فإنه مقام محمد المحمود
الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل
حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله
الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق آخر عنه ماج الناس
بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع
لكم فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك
اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي

نفسي

نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا
عليه السلام فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
انس رحمه الله ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير
علم وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه وقد كانت لي
دعوة دعوت بها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت خليل الله
ورسوله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث
كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى عليه
السلام فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله
التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى عليه السلام
فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته
فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم
بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى فأقول
انا لها فانطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي
رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا اقدر عليها الا انه
يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن

الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي. قال وفي رواية
أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع
تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل
من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ولم يذكر في
رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه
فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى
ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة
من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة
الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل
تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس
ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن
من النار من قال لا إله إلا الله. وفي رواية قتادة عنه قال
فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار
إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود. وعن أبي بكر
وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن
له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في
رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب

الصراط

الصراط فيمرون عليه أولهم كالبرق ثم كالريح والطير وأشد
الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث. وفي رواية أبي
هريرة فأكون أول من يجيز. وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم
يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن
أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال
أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن خازن
النار يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة. ومن
رواية زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمتي ولا فخر وأنا سيد الناس يوم
القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح له
الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد
فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر. فقد
اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله
عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس
والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس

من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث
عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من
لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه
وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها
واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم
معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه
وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء
والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على
يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا
أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية
أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه
وفي رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد
عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة
مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته
أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر
لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال
والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله وسلم عليه

كثيرا

كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه
أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي
الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا أبو
بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة ثنا
ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي
إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي
الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة
الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن أنس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب
اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله
قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد
الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه
أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم
يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي
أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة

من الخير الذي أعطاه الله وفي حديث أنس فيما ذكر صلى الله عليه
وسلم عن ربه وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي
رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل
فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة
كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأسدي قال حدثنا
السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت
أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن
يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي
هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني
على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس
بن متى وعن أبي هريرة من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى

وفي

وفي حديث أنس أنه جاءه رجل فقال له يا خير البرية فقال
ذلك إبراهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات
أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم
فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو
وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه قاله
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا
لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
إلى تنقيص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ أبق
إلى الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لا علم عنده بحقيقته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوءة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد
إذ هي شيء واحد لا يتفاضل وإنما التفاضل في زيادة الأحوال
والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوءة في نفسها
فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم
رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من
أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية

قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة
أحوال إما أن تكون آيته ومعجزته أبهر وأشهر أو تكون أمته
أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى
ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما
شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس تفسخ منها
تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من
يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه أو حط
من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا
إلى القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء والعصمة
والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه فإن
درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا أدنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله
تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله
التوفيق وهو المستعان لا إله إلا هو فصل في أسمائه صلى الله
عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته نا أبو عمران موسى ابن أبي تليد
الفقيه قال نا أبو عمر الحافظ نا سعيد ابن نصر نا قاسم ابن
أصبغ نا محمد ابن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد ابن
جبير ابن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر

وأنا

وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله
تعالى في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه
ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة
من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه
وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين
وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد
ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط
غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا
وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته
فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما
أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته
أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب
ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده
أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم
بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته
وهم محمد ابن أحيحة ابن الجلاح الأوسي ومحمد ابن مسلمة الأنصاري
ومحمد ابن براء البكري ومحمد ابن سفيان ابن مجاشع ومحمد ابن حمران الجعفي
ومحمد ابن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمد ابن

سفيان واليمن تقول بل محمد ابن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من
تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك
احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع
فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما
زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما
بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد
ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله
وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس
بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وفي الصحيح انا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي
اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى
ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون
الي يوم القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها
موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة وقد
روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي
يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر ابن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء وذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول
الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين

وانا

وانا قثم والقثم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان
صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القثم بمعناه
وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم لي في القرءان سبعة اسماء
محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه هي ست محمد واحمد
وخاتم وعاقب وحاشر وماح وفي حديث ابي موسى
الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة
ونبي الرحمة ويروى المرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء
الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمومنين رءوف رحيم وقد قال في صفة امته
انها امة مرحومة وقال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه ربه تعالى رحمة لامته ورحمة
للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم
واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

وأما قوله نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل
حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني
ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو في أهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من ألقابه
صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والأمين وقدم
الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي
وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله
المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد
المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة

والنعلين

والنعلين ومن أسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط
في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق
والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب
طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار وقال
ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة
أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف
وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل
به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة
التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا
المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن
وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم
تيجان العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم
وروي عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال له السلام
عليك يا أبا إبراهيم فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به
من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي أبو
الفضل وفقه الله تعالى ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب
الأول لانخراطه في سلك مضمونها ولكن لأجل تعرف معينها الا كن

لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله
فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص
كثيرا من الانبياء بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحاق
واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب
بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز
من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان حلاه
منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا
الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها
وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه
فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده
عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل
من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمائه تعالى الرءوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه
في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رءوف رحيم ومن اسمائه تعالى
الحق

الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين
اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين
لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني
انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او
المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل
اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه
او منور السماوات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به
ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على
عباده يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك
شاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى
الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد
وقيل جبريل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعاني
الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم

ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في الشفا صلى الله
عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن
اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم
ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي
العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره لاعدائه او
لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن
اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا
قال القاضي ابو بكر ابن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله
عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال
غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول هو الله تعالى
فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم
على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته
مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح
ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم بمعرفة الحق ويكون
ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح

ان

او ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح
والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح
في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع ابن انس عن ابي
العالية وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه من قول الله
تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم بمعرفة الحق والايمان بالله او
الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم في
الانبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين
ووصف بذلك تعالى نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا
وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا
اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال
تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه
تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها

والثنا في بحر فنائها وتحقيقه انه يحمد له اول واخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
وبعثهم ولذا بدأ بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون السابقون
وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل الجنة واول
شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الهادي وفي الحديث
ذلك نور وفي الحديث ابتعاثه صلى الله عليه وسلم
بالهادي والمهدي ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله
عليه وسلم انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن
والتوراة وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال فاعف
عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان
تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور
في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى

الدلالة

الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من
التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن
المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في
الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى
الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء
آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان صلى
الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال صلى الله عليه وسلم انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن

ومن أسمائه تعالى الغفور ومعناه الذي يستر عن العقاب
لستره عن شدائد العقوبة وسمي به المغفر لأنه يسترهم فيبعد
من الذنوب ومنه الولد في المغفرين وروح الغفرين ووقع في كتب الأنبياء
في أصحابه صلى الله عليه وسلم الذي يكفهم من الذنوب كما قال تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والذي يكفهم به من الذنوب
ويستر عليهم بالتباعد عنها كما قال ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم
من الظلمات إلى النور أو يكون مفترسا بمعنى مكفهم حتى لا أخطى
الرحمة وإدخال الجنة ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه
الممتنع الغالب أو الذي لا ينحط له أو المعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله أي الامتناع وجلالة القدر وهو صفة الله
تعالى لنفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وقال إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله
تعالى مبشرا ونذيرا ويبشر المؤمنين الأهل كلا عنه وينذر الأهل
معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس
وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم فصل قال القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى
وها أنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم
وأزيح الإشكال فيها بما تقدم عن كل ضعيف الوهم سخيف الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن
يعتقد أن الله تعالى جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يشبه

به

به وأن ما جاء مما أطلق من الأسماء على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن
الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بأسمائه وبصفاته
وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ
اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة
كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله
مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر
الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف
تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل
ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل
الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام
أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو

مشيئته ومن أمثلة أن الذي نقول نحن فهو معطل ومن قطع بوجود
الاعتراف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي
النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة
لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا الكلام عجيب نفيس
محقق والفصل الأخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير
لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله
وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات قال القاضي أبو الفضل حسب المتأمل أن يتحقق
أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا
لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده
وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته
الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة
لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب
أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه
وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع
أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا

وإذا

وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره
وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به قد روينا عن
الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه
فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا
به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون عن أبي يعلى البغدادي وعن أبي
علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار ثنا
عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن
سلام الحديث وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم

قلنا بكذا وكذا وشقا من تمر فأخذ بخطامه وهما وراء الربذة فقلنا
بعناه من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن
البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فلما أصبحنا
جاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله إليكم يأمركم أن تأكلوا
من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا **وفي خبر** الجلندى
ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى
الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر
بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له
وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز
الموعود وأشهد أنه نبي **وقال نفطويه** في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن
لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة
القرآن وما فيه من براهين ودلالة **فصل** اعلم أن الله جل اسمه
قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي
عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة

مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا
من دليل العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على
صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجزة مع
التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله صدق عبدي
فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف
والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات أئمتنا رحمهم الله فالنبوة في لغة من همز مأخوذة من
النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى
أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبي
منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به
ومنبئا بما أطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه
من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض ومعناه أن له رتبة شريفة ومكانة
نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول
فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله
أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع
ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا تبع بعضهم بعضا فكأنه
ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه واختلف العلماء هل
النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء وأصله من الإنباء وهو
الإعلام واستدلوا بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فقد أثبت لهما معا الإرسال قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا
الرسول إلا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة

النبي هو المطلع على الغيب والمعلم بخواص النبوة أو لأن رفعة
بمعرفته الله وحوزه رفعتها وأما فاعل زيادة الرسالة لأنه رسول وهو
المأمور بالإنذار والمعلم كما قلنا وتختص من الآية تخصيص النبي بين
بين المخبر ولو كان كما قيل وإلى المأخذ تكرار هذا في الكلام البليغ
قالوا وأيضا وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي يبشر بين سائر الناس
لغيره وفرقهما بعضهم بأن الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن
لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي
عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل
آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي ذر رضي
الله عنه مرفوعا أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي
وذكر أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم عليه السلام
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي
ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه
تعويل وأما الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه
من ربه بعجل سمي وحيا وسميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها
بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب
واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا
بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قوله الوحا الوحا أي
السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه
قوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم
ومنه قوله وأوحينا إلى أم موسى أي ألقينا في قلبها وقد قيل في الطاقي

قوله

في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه
في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت
به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على
ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل
لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان
بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية
وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الأصابع
وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد
النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن
يأتي بمثله تعجيزا له واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين
معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما
سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو
القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم
وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها
وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على
قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية
ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته

وان انكر هذا معاند جاحد فهو كمنكر وجود محمد صلى الله
عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحد من جهة التحدي به فهو
في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويقرب هذا التحرير على الجملة
انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات ان لم
يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغها جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه
عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
ايضا من نبينا ضرورة نقلا ومعانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه
لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته

والقسم الثاني ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه
العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا
من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع
اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل

عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة ولا
يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ
بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة
الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على
باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو
كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن
وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول
الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد
في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه
الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع
تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف

أهلها وأجهلها والخبر على الكفار نورها أن قوة وقبولهم ومن
للكفار عليها الأخمرة وغلبها وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه
بما يكون وكان معلوما من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه
وقال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك
من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا
يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وكونها مدينة عظيمة
ودار الإمارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام
وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد
النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي
في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم
يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم
فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا إن شاء الله تعالى **وصل** في إعجاز القرآن العظيم وفقنا
الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة

وتحصيلها

٨٧

وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن
تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته
الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن
وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم
من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة
وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون
الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري
ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق
الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا

لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث
والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة
رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع في الغريب واللغة
مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما
على رءوس الملإ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى
أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا
تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له
وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية

التوبيخ

التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا
إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى
ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه
من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم
ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين
مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن
عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر
وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة
الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين

يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى
ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها
قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين
ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير
مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من
قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة وكونه صلى
الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان
به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين
بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقوله ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله فكلا أخذنا
بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر
القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض
ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد

القصص

القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي تضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط
الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة
ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة
لمعادها **فصل الوجه الثاني** من إعجازه صورة نظمه
العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه
وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت
دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم
أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد
ابن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرا عليه قال
والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو
بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه
ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا
الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه

ما هو بشاعر، قالوا فنقول ساحر، قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا
عقده، قالوا فما نقول، قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا
أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول أنه ساحر، فإنه سحر يفرق بين
المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته، فتفرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس، فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الآيات. وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن
يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته، والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة. وقال النضر بن الحارث نحوه. وفي حديث إسلام أبي
ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم، وإنه انطلق
إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم، قلت فما
يقول الناس، قال يقولون شاعر كاهن ساحر، لقد سمعت قول
الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم
على لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لصادق وإنهم لكاذبون. والأخبار
في هذا صحيحة كثيرة. والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة
بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على
التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها، وإلى هذا ذهب غير واحد
من المحققين. وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع
البلاغة والأسلوب، وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه

الأئمة

القلوب

القلوب. والصحيح ما قدمناه، والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا
ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه. وقد اختلف أئمة أهل السنة
في وجه عجزهم عنه، فأكثرهم يقول إنه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة
ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح
أن يكون في مقدور البشر، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار
الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى. وذهب
الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون، فمنعهم
الله هذا وعجزهم عنه. وقال به جماعة من أصحابه. وعلى الطريقين
عجز العرب عنه ثابت، وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في
مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع، وهو أبلغ في التعجيز
وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم، وهو أبهر آية وأقمع دلالة. وعلى كل حال فما أتوا
في ذلك بمقال من خبر واعلوا الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل، وكانوا من شموخ الأنف وإباءة الضيم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا، وإلا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع
بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم، وهم ممن لهم قدرة على
الكلام، وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام، وما منهم إلا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره، فما

حلوا بها في الأخبية من بلاغتهم وما أتوا بقطعة من
مثل ما جاء به مع كثرة الفصحاء وكثرة العدد ومتظاهر النوادي
وما ولد من البلغاء فما نبسوا ولا منعوا فما قطعوا أقصى ما في النوع
من إعجازه. **فصل** الوجه الثالث من أوجه إعجازه ما انطوى عليه
من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى
الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء
الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية وقوله إذا
جاء نصر الله والفتح إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت
الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما
مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله
الإسلام واستخلف الله المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم
وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال صلى
الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره
وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة
عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله

سيهزم

سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم الآية وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية
لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم
وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله
من الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه إلى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله
واعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله
تعالى إنا كفيناك المستهزئين نفر بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة
فصل الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة
والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة
الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه
فيعترف العالم منهم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله
بتعليم وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله
أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه

وسلم عن هذا اعتنى إليه من القصة ان ما يتلوا عليهم منه ذكرا
كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته
وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء
وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى
مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها
بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم
وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات
سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم
عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم
إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت
لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم
وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده إياه كأهل
نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض
المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي
إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن

غير

غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده
ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا
ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآيتين **فصل**
هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن
الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم
في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية
قال أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على
صحة الرسالة لأنه قال فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم
يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل
ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي
من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك
نبيه يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن
يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه
أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية
وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن

قوما نبوءتهم فيقضي ببينهم وبما مضى عنهم ومثله **قوله**
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن
تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل
في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها
فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهيتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المومن فلا تزال روعته به
وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل
قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر **فحكي** في الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله
المسيطرون كاد قلبي أن يطير للإسلام **وفي رواية** وذلك أول

ما وقر

ما وقر الإسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم
فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة
بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف
وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ
ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال
والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما
دريت ما أقول له **وقد حكي** عن غير واحد ممن رام معارضته
أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك **فحكي** أن ابن المقفع
طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي
ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من
كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الأندلسي
في زمنه **فحكي** أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو
على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة
حملتني على التوبة والإنابة **فصل** ومن وجوه إعجازه المعدودة
كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه
فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وسائر معجزات الأنبياء
انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز

الغزال بليغ

الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم
مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا
حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة
بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام
وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في
ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في
العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من
أئمة المسلمين ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن
قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته
يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع
الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك
حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه
هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به
الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين
سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها

جمعه

جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا **محمد** صلى الله
عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط
بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه
من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد
على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة
المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا
عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر
على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم
والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم
قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم
وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج
ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو
الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه

عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ
الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال
تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال هذا بيان للناس وهدى فكأنه جمع فيه مع وجازة ألفاظه
وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على
الضعف منه مرارا ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله
وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته
وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له
يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع
في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه
أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على
متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الأمم
لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين
عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعه والتئام
أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى

غيره

غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة إلى أمر
ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد
وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص
وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر
من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد
هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء
كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي
انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه
ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة لم نذكرها إذ أكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد
في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه
التي لا تنقضي والله ولي التوفيق فصل في انشقاق القمر وحبس
الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا

آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع
انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع
المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد
الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا
أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن
إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق
القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق
الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي
رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه
الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه
عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة
فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره
أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا
فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق
حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا
فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء الأربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما
رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن

مطعم

مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع
النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا
حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر
وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه
محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة
أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق
هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض
مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر
لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة
فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم
على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع
أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم
وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض
وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت
ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد واهتبل

واشتغلوا به وكذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد
وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب
يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان
بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى
غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال
لا فقال اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه
الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على
الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح
كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث
أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة
المغازي روايته عن ابن إسحاق لما أسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى
تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع
الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته أما الأحاديث في هذا
فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله
عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود

حدثنا

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه
حدثنا القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم
بن محمد حدثنا أبو محمد ابن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا
يحيى حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس
بن مالك رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه
قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا
من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه
ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء الثلاثمائة
وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا
حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا
قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين
رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة عنه بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه
في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله
عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا

ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده
في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي
مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
ابن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة
بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به
النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه
وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين
أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى
وعن الشعبي أتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره بإداوة
ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع
إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة
إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل

فهؤلاء

فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير
له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه
هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته
فيما رواه مالك في الموطإ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة
تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك
فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء
كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء
ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك
حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
ابن الأكوع وحديثهما أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة
وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها
فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فجاشت فيها فأرووا
أنفسهم وركابهم وفي غير هذين الطريقين في هذه القصة من
كتاب ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر
قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن أبي قتادة
وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في حضنه ثم التقم
فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا

كل إناء معهم فخيل إلي أنهما كما أخذ منهما وكانوا اثنين
وسبعين رجلا ومثله لعمران بن حصين وذكر الطبري
حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح أن النبي صلى الله
عليه وسلم خرج يمد أهل مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء
وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه
وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث
الميضأة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال
لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما
أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث
فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في
المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملأوا أسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا إلا ملأوه قال عمران ويخيل إلي أنهما
لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها
وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا
وعن سلمة بن الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من
وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر
في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر

بعيره

بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ولم تجاوز
العسكر وفي حديث عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى
الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء
فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه إجابة دعائه
بالاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته
ودعائه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا
العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن
ابن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال
يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث
أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين
رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق
وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا
لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بصوع شعير وبهيمة وقال ورواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن
وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال فجيء
بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلا ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد
ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل
ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد
حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة ابن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة
فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من
طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين
ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين
فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك
حديث عبد الرحمن ابن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة
ابن الاكوع وابي هريرة وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فذكروا مخمصة
اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا

ببقية

ببقية ازوادهم فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك
واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا
ان فيها اثر الاصابع وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم
ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا
حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه
لم يشرب منه وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى
بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه
قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا او ثنتين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء
ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري
حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر ابن محمد عن
ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت
عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي

ثم لقطا ثم رفعت الغرارة وإنها لتفيض فأكلنا منها ما شاء
الله وأمر عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول
الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير
ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة
راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان
بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف
دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها
بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة رضي الله عنه
أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء
قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج
قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به
وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت
منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى
أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من
ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكر مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه أيضا حديث
أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم

فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت
ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم
وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثره لعياله فأكلوا وأفضلوا
ذكر خبره الدولابي وفي حديث [illegible] في إنكاح النبي صلى الله
عليه وسلم عليا فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة
من أربعة أمداد أو خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بها
فطعن رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى
فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه
وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي حديث أنس رضي الله عنه
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم
حيسا فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا
لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملأوا الصفة

والحجرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا عشية عشية ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن
يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال ارفع فلا أدري حين رفعت كانت
أكثر أم حين وضعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه
عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم وأكثرها في قصص
مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها **فصل** في كلام الشجر
وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته قال **حدثنا** أحمد بن
محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي
بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي **حدثنا** أحمد بن عمران
الأخنسي **حدثنا** أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن
عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي
فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو
قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن **محمدا** عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها **وعن بريدة** سأل أعرابي
النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر

عروقها

عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع
إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الأعرابي
ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة
أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن له
وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا
بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي
بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده
وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا **وفي رواية أخرى** فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي
فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد
افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا
وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو

حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى
صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر
نحوا من هذين الخبرين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية
اشاءتين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن
سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن
مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة
وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة

نفسها

نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هو وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه
وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا
وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله
عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه
حزينا أتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن
علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي
من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى
الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية
يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحي اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة
فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين
يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب
علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي من
كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى
الله عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه

النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
صحيح **فصل** في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث حنين
الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر قد خرجه أهل
الصحيح **ورواه** من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر
ابن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل
ابن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث وقال الترمذي وحديث أنس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار **وفي رواية أنس**
حتى ارتج المسجد بخواره **وفي رواية سهل** وكثر بكاء الناس
لما رأوا به **وفي رواية المطلب** وأبي حتى تصدع وانشق حتى
جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحاق
عن أنس **وفي بعض** الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو
جعل في السقف **وفي حديث أبي** فكان إذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان
عنده

عنده إلى أن أكلته الأرضة وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم
أمره فعاد إلى مكانه **وفي حديث** بريدة فقال يعني النبي صلى الله
عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل
أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما
يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان
لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن
وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح
ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية **ورواه** أبو نضرة وأبو
الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم
وعباس بن سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد
الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه **قال القاضي**
أبو الفضل وفقه الله فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم
نذكره وبدون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب

والله اثبت على الصواب. **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم حدثنا الاصيلي حدثنا ابو القاسم
حدثنا ابو حفص القابسي حدثنا ابن زيد حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري
قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من
حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن
وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال
علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها لما
استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر ان النبي
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي
حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت

اسكفة

اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد
عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي
هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي
او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة
من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين
وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه
وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول
الله وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا
الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن
عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة
الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره

تدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو جهل واللات
والعزى لئن ذكرتها هذا بمكة لتتركنها خلوا وقد
روي مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عبد الله
ابن مرة أميرنا تعجب من كلام بهائم وانشاده الشعر الذي
ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الكلام سقفه فقال ابن عباس
أتعجب من كلام بهائم ورد تعجب من نفسها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تدعوه إلى الإسلام وأنت تعاند وكان سبب إسلامه
وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل أتى النبي صلى الله عليه
وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم
فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله
سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة
حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا للأنصار وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار
رضي الله عنهم وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن
أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة رضي الله
عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد
له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة ابن مالك وجابر ابن عبد الله
ويعلى ابن مرة وعبد الله ابن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط
إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه
فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين
السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس

ومثله

ومثله عن عبد الله ابن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل
أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا
ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكى
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية إنه شكا إلي أنكم أردتم
ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم
وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها وأن الوحوش تجتنب
الوحوش عنها وتناديها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب
بعد موته حتى ماتت ذكره الأسفرايني وروى ابن وهب أن حمام
مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها
بالبركة وروي عن أنس وزيد ابن أرقم والمغيرة ابن شعبة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار
وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما
أتى الطالب له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا
وعن عبد الله ابن قرط قرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ
وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي
خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع

قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها
فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد
لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن
فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي
رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا
الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني
بمنكبه حتى اقامني على الطريق ولخز عليه السلام باذن شاة لقوم
من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان
النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي حديث العنز التي
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش
ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك تملكها

فوجدها

فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك
عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما روى الواقدي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة
نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور وما وقع في كتب الائمة فصل في احياء الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا
حدثنا ابو علي الغساني حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا
ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن
خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم
فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر
ابن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت

نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك
قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت
أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها
قال لا وكذلك روي عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما
عرض لها وقال أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه
الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني
أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت إني
مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها
وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة
خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري وحكى ابن إسحاق أن
كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل
الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته
وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر
وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفعها لأولياء بشر
ابن البراء فقتلوها وكذلك اختلف في قتله للذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي عنه أنه قتله وروى
البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا

قال

قال القاضي أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة
أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة
النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
في الشاة الميتة والحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله
فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله
وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده
وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم
إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا
يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت
عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد
كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق
في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم
ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة
وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان
لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه
ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله وروى
وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم
أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله

وروي عن معرض ابن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم
عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة
ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة
في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس أن شابا
من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت
مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى
نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن
عبد الله ابن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت ابن قيس ابن
شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد
رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا
فإذا هو ميت وذكر عن النعمان ابن بشير أن زيد ابن خارجة
خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين
والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال
محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب

الأول

الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل
في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي ابن مشرف فيما
أجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا
أبو محمد ابن النحاس حدثنا أبو داود وعمر ابن عوف عن ابن هشام عن
زياد البكائي عن محمد ابن إسحاق وحدثنا ابن شهاب وعاصم ابن
عمر ابن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها قال فقاتلوا
وقال سعد ابن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيب يومئذ
عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروي في قصة
قتادة عاصم ابن عمر ابن قتادة ويزيد ابن عياض ابن عمر ابن قتادة
ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة ومن برا ابن عياض وبصق على
أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح
وروى النسائي عن عثمان ابن حنيف أن أعمى قال يا رسول
الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل
ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة
يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري اللهم
شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب
الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فأخذ بيده حفنة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله
فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا
فمسح بها فشفاه الله. وذكر العقيلي عن حبيب ابن فديك
ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا
فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته
يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين. ورمي كلثوم ابن
الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فبرأ. وتفل على شجة عبد الله ابن أنيس فلم تمد. وتفل في عيني
علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا. ونفث على ضربة بساق
سلمة ابن الأكوع يوم خيبر فبرئت. وفي رجل زيد ابن معاذ حين
أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت. وعلى
ساق علي ابن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما
نزل عن فرسه. واشتكى علي ابن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما
اشتكى ذلك الوجع بعد. وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ ابن عفراء
فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها
فلصقت. رواه ابن وهب. ومن روايته أيضا أن خبيب ابن يساف
أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى
صح. وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه

به

به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس
جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الأسود فسعى. وانكفأت القدر على ذراع محمد ابن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه. وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها
ولم يبق لها أثر. وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي
في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر
في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد
حياء منها. فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا
لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا
لرجل أدركت الدعوة وولده وولد ولده. حدثنا أبو محمد العتابي
بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد حدثنا أبو الحسن
القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا
محمد ابن إسماعيل حدثنا عبد الله ابن أبي الأسود حدثنا حرمي
حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قالت أمي
يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله
وولده وبارك له فيما آتيته. ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله

إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو
المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رغد العيش
ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا
ولا ولد ولد ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح
الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه
الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين
ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين فنال الخلافة ولسعد بن أبي
وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا
استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه أو بأبي جهل
فاستجيب له في عمر وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة
منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر
الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي
قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو
ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة وقال للنابغة لا
يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن

الناس

الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين
ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله
ابن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع
حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى
التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له ناقة
فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة
فأسلمت ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته ألا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله
الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور
بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف
سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على
مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم يبق لهم باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع
عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل
بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها
إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك

فما أكله إلا سُمّ وقال للّام إنّه أكلها الأسد فأكلها وحديثه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعائه
على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع القرشيين والذي
وسماهم وقال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي
العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم
إذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج حتى مات ودعا على
محلم بن جثامة فمات لسبع ولفظته الأرض ثم وُري فلفظته
مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة [illegible] الوادي
وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه
وسلم فرده النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال
اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شائلة برجلها
أي ميتة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به فصل في كراماته
وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه
وسلم أخبرنا أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا
القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي حدثنا أبو ذر حدثنا
أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا
البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره
يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل

جابر

جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرّك عليها فلم يملكها
رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فردّه هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر
وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها أخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وأنبأنا القاضي أبو علي
عن شيخه أبي القاسم ابن المأمون قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
يستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان
رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته
فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار أنس فلم تكن
بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو
من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين
لسانه فمصّاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة
تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا
فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها

فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها وكان يتفل
في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل ومن ذلك
بركته فيما لمسه أو غرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه
على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين
أوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة
غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي
صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل
بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها
لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وحديث
حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق
شرب أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت
وريها إذا عطشت وبردها إذا ضحيت وأعطى قتادة بن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به
فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق
فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى
خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه
عسيب

عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنها من بركته في درور الشياه
الحوائل باللبن الكثير كشاة أم معبد وأعنز معاوية بن
ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن
ذلك تزويده أصحابه في سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه
فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة
في فيه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص
عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة
ابن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه
عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة
كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له
فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي
صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان
يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن
ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة
ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة
يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على
موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح

في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه
امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى
شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرءوا .
وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل
فبرئ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به
جنون فصك في صدره إلا ذهب عنه الجنون ومج في دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم
حنين فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه أبو هريرة رضي الله
عنه النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره
بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على
الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما أطلع عليه
من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك
قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره
قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي

حدثنا

حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان بن أبي
شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء
فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم
إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن
تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا
باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا
منه علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح
مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن
حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن
المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله
على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة
ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون

بيوتهم كما تبنى الكعبة ثم قال ان اخر الغربة وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذ اخشوا الضعفاء وخير منهم ثلاث قال رش
واليوم ردّ الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم
الشهداء والغزو والروم وذهاب كسرى وقيصر حتى لا كسرى ولا قيصر
بعده وذهاب فيهم حتى لا فيهم بعده وذكر ان الروم ذات قرون
الى اخر الدهر ومن هذا الامثال لا امثال من الناس ويتقارب الزمن
ويقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج وقال وقيل للعرب ما من شيء في
وانه زويت له الارض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملكها
امته ما زوي له منها وتأويله كان امته في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق والى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه
وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تنتشر في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون
بالسقي بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل
الغرب وفي رواية الغرب كذا في الغريب بمعناه وفي حديث
آخر في رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول
الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية
معاوية ووصاه وانقضاء بني امية من الشرق ومد وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج
المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان

اشتغالها

اشتغالها بالذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه فيهم
للنار ويرجل الى الجنة واخر الى النار وكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وكما بعده فمن ينتسب اليه من الرافضة كفروه
وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة
الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه
يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة
عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله ابن الزبير ويل للناس منك
وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين
انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة ابن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق وبها هلك وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته
عنه فاني رايت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج
جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضي الله عنه
ووجدنا راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال
هذا الامر فيهم ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله
وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة

بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن
ابن علي وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة
وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا
في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن
وقتها وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي
حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم
يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك
قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وقال لا يأتي زمان
إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش
قال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو
فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام
فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون
بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي
فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاة الغنم رؤوس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها
وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم
وأخبر

وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من
سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس
وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم
في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا
وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل
خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث
هي وبناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة وبشأن حاطب
وكتابه إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان
حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما
جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم وأخبر بالمال
الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن
كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل
أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن
مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا سيد
وسيصلح الله به بين فئتين وقال لسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام
ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات بأرضه وأخبر
فيروز إذ ورد عليه رسول كسرى بموت كسرى ذلك اليوم

فلما صفوا حين رأى الفئة أسلم وأخبر أبا ذر رضي الله عنه
بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا
أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث
وبعيشه وحده وموته وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا
أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل
الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد
ابن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال
في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد
فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة
كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر
ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة
تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون
في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من
فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا
عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم
وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجد
هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم
إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه

من

من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي سحره لبيد بن
الأعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في
بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل
الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا
بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء
ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها
في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى
ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط
الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر وأخبار الأبرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل
أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه
من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند
الأئمة **فصل** في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك
فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
صلى الله عليه وسلم أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا

كفيناك المستهزئين وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا
القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ
أبو بكر محمد بن عبد الله العامري قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفي
قال حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا
أبو العباس المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد
حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري
عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس.
فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه
أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله عز وجل فرعدت
يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث
صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له
يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر
مع رجل يقال له دعثور بن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى
قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت
تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري

فوقعت

١١٩

دعثورا

فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت وقيل
وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم
أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية وفي رواية الخطابي
أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر
سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر
أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم
الآية وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما
نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد
قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل وذكر ابن إسحاق
عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وتب وذكرها بما ذكرها
الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن أبي العاص قال تواعدنا على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه
بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته
ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت

النعل والثوم فجعلت نبثنا ونبثه **وعن عمر** رضي الله عنه
تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة
إلى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال انج
وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر رضي الله عنه **ومنه**
العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما أخافته قريش
واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم
وقد طمس الله تعالى على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم
وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من
الآيات ومن العنكبوت الذي نسجت عليه حتى قال أمية بن خلف
حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى
أنه قبل أن يولد **محمد** ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش
لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل
فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى
الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يلتفت وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية
إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالأمان فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه

ابن

ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم
ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع
في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم **وفي خبر آخر** أن راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه
فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل
يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه
وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه
عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن
يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لأخذه
وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه **وذكر** أن في هاتين
القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك
ما ذكره ابن إسحاق وغيره في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه
فجلس إلى ظل جدار من آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه
رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم
بقصتهم وقد قيل إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي

أنه خرج إلى بني النضير يستعينهم في عقل الكلابيين فلما
عمرو ابن أمية فقال له حيي ابن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل
عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد
حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا
يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل
فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه
وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى
الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى
آخر السورة وحكي أن شيبة ابن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين
وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد
فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال
فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت
هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على
صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي
وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي
ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه وعن فضالة ابن

عمير

عمير قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت
تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب
إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر ابن الطفيل وأربد ابن قيس حين
وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل
عنك وجهه فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك
قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك
ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به
وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله.
فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب
أمامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته
الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص
الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه
السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم
والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من
الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم
بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه

الذي احتوى على لغات العرب وغريب الفاظها وفصيحها واعجازه
نظمه وبديع مقاطعها ومخارجها لاتساقها وامثالها وحكمها ومعاني
اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها التي لم تعرف بعض الامثال
الصحيحة والحكم البينة بتقريب التفهيم للغامض والتبيين
للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء
مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة
الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم
من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار مما
لا يعلم علمه ولا يقوم به ولا يبعثه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة بعض هذا الى احتوائه على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير
ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا
يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما
روي عنه في حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه

وكونه

وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية
منها ذات الجنب وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى
قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وقوله وقد سئل عن سبإ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال
رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله
وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من
ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السماوات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء
وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة
وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله
وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل
منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل
هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه

ابن شعبان من طريق ابن عباس **وقد ورد في الحديث الآخر**
الزبير وعن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه
وسلم فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن
لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق
علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة وأما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا
على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها **وقوله** في حديث أبي هريرة أشكنب
درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض
هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب
ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم
ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما
كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان
وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه
وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة
في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر

قد

قد رد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان
عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه
إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول
الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان
أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه
فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش
أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم
مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء
به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب
طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض
به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه
وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب
فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره
وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة
أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته

لم

لم يغب عنهم ولمن خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعلم واختلاف
إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء
ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا
لكل أمر **فصل** ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته
وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله
تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل الآية
وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف وقال
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية
حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه **حدثنا** أبو
الليث السمرقندي قال **حدثنا** عبد الغافر الفارسي **حدثنا**
أبو أحمد الجلودي **حدثنا** ابن سفيان **حدثنا** مسلم **حدثنا**
عبد الله بن معاذ **حدثنا** أبي **حدثنا** شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح والخبر
في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده من
كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم
بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى الصحابة جبريل
عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن
عباس وأسامة بن زيد وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية

ورأى

ورأى سعد عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت
الملائكة تصافح عمران بن حصين **وأرى** النبي صلى الله عليه
وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه **ورأى** عبد الله
ابن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك
على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله
عليه وسلم نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن
إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى
الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن **وذكر** الواقدي قتل
خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك
العزى **وقال** صلى الله عليه وسلم إن شيطانا تفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه

الرسالة بيده من سواد او بصر حتى تنظر واليه تلكم فمن كان عمرة
اخو سليمان ومن اعطي لوهب او ملكا ابن ابنه من ذرية الله خاصية
وهذا باب واسع. **فصل** ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس
ابن حارثة وكعب ابن لؤي وسفيان ابن مجاشع وقس ابن ساعدة وما
ذكر عن سيف ابن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد ابن عمرو ابن
نفيل وورقة ابن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي في التوراة
والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم
منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن اسلم من علماء يهود وبحيراء ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى
الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد
اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورؤساؤهم
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب ابن اسد والزبير ابن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في
كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه

من

من ذلك في كتبهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم
ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن
معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع ومثل شق وسطيح وسواد
ابن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل ابن جذل الكندي وابن خلصة
الدوسي وسعد ابن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة
الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع
من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من
اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من
اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات
عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه
عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه
عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان ابن ابي العاص من تدلي النجوم
وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد
الرحمن ابن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت
قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى

من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو
صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه
وسلم دهينا كحيلا قالت ام ايمن ما رأيته صلى الله
عليه وسلم شكا جوعا قط ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم
استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر
المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني نهيت عن التعري ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرن ذلك
لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي
ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن
اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه
تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه
في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس

ولا

قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه
ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته
ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن
على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه
عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند
موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته فصل قال القاضي
ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على
ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا
هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات
الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا
وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فان اردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من

الأنبياء ونقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا
القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة
المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب
بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل
جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه
أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به
مع ما ينتظم في هذا من تقرير وتحقيق يطول شرحه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على
نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل
واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقرر بوجهين من طريق بلاغته
وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف
العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن
أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة
أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه صلى الله
عليه وسلم في هذه الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله
يبلغ نحوا من هذا **الوجه الثاني** وضوح معجزاته صلى الله عليه
وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن

الذي

الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بعث
إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما
خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى
أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه
وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء ثم إن الله
بعث **محمدا** صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها
أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله عليه القرآن
الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه
ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن
كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار
عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي
بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك إلا
على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على

جهة التبيين فلا يزعم أنه من الله ويكتفي فيه بمعرفة بجمهور
غيره على ما أخبر فيتحدى الألباب ويشكل على النظار ويبصر الخبر
كالعيان ولنظام هذه زيادة في اليقين والتعظيم أشركهما فيه إلى
غير البشر فيهما إلى علم البشر وإدراك كل عندها حالا وسائر معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو
محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا
البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن
أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم
القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن
شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها
وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فإن
غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا
بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا
مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر
في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره
من

في التخييل

من البغي إذ كان لا ينبغي لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا
بغير ما من التحيل والتمويه والتأويل لأن الخطر واضح في هذا
التأويل والتأويل ما يعترض عليه الحجى ويعضده وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا
عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس -
مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس
مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال
وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله
والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم
وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب
العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم
إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين من
السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد
توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آية نبوتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع
مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم

تعالى

الله من الفضائل لكثرة الحاضرين بحضرته والأكمه ولا ثنية
وبالله التوفيق ومن غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته
على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك برقة
أفهام العرب وذكاء ألبابهم ووفور عقولها وأنهم أدركوا
المعجزة فيه بفطنتهم وجاءتهم من ذلك بحسب إدراكهم
وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم
وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه
فجاءهم في ذلك من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر
غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا
الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها
يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم
بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته
فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم
في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج
لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله
عليه

عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ذكر ظهور هذه استدلالها
وظهورها وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل تم الجزء

الأول من الشفا بتعريف حقوق المصطفى
ويليه الجزء الثاني وأوله القسم الثاني
فيما يجب على الأنـــام إلى آخره

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله
عليه وسلم قال القاضي أبو الفضل وفقه الله وهذا قسم
لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب
ومجموعها وجوب تصديقه واتباعه في سنته وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان
به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته
وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله
تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال
فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام
إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا
للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه
حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي

حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين قال
أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء ابن
عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال
الفقيه أبو الفضل وفقه الله والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو
تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد
في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد
بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان
دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله

والله

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي لكاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك
ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا
عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام
بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة
وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة
الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث
عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث
جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت
حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل
اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم
من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا
مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه
غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم
ينطق بها جملة واحدة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف
فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن

عقود شهادة بمادة الشهادة إنشاء عقود التزام بيان وهي
مرتبطة مع العقود بنية التقرب مع انتقاله إلا بها وهذا
هو الصحيح وهذا ابن يقصد لو متسع من الكلام في الآن شكل والإثبات
والنوابها وفي الإثبات فيها والانفصال وهل التحرز ممتنع
على مجرد التقرب ولا يصح فيه جملة والتمام مع الزيادة عليه
من عمل أو من يعرض فيه لا خلاف في معانيه وتتابع خلاف فيه
من قوة بغير وتصميم اعتقاد وخروج معرفة ودوام حالتيه
وحضور قلب وقد بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه
غنية فيما قصدناه إن شاء الله تعالى **فصل** وأما وجوب طاعته
فإذا أوجبنا الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن
ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول وقال وأطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك
الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل
تعالى طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال
أمره واجتناب نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في
التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما أرسل الله من رسول
إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته

يطع

يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام
فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا
الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم
والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري
حدثنا عبدان أنا عبد الله أنا يونس عن الزهري أخبرني أبو
سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى
الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته
امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات
جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال
صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم
بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا
ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل
رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير

النجا فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على
مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما
جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث
الآخر مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن
عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل وأما
وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك إلى قوله تسليما أي ينقادوا لحكمك يقال سلم
واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد
ابن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك مخالفته في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى
صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى
بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لأن الله تعالى أرسله
بالهدى

بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته
إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم
وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض عليه وروي عن الحسن أن أقواما قالوا يا رسول الله
إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية
وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا
نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية
وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن تقصدوا طاعته
فافعلوا ما أمرتكم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة
كما قال القائل: تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له
رحمته له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه
قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول
الله تعالى حدثنا أبو عمران إبراهيم بن جعفر الفقيه قال

حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل وأخبرنا أبو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم
ابن محمد قال حدثنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر الآجري
حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد
حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد
الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية
في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع
عنه صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر
من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن
الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية وروي
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن صعب مستصعب على من
كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع
القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت
أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد
وشر الأمور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو
فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وعن الحسن
ابن أبي الحسن رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى
يدخل العبد الجنة بالسنة تمسكا بها وعن أبي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد
أمتي له أجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين
كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال الذي أنا
عليه اليوم وأصحابي وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي
فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة وعن عمرو بن عوف المزني
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيا سنة من
سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن
ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا
فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء
بهديه وسيرته حدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن

ابن أبي قليب العقبة سماعا عليه قال حدثنا أبو عمر أحمد فهو نا
سعيد ابن نصر حدثنا قاسم ابن أصبغ ووهب ابن مسرة قال نا
محمد ابن وضاح حدثنا يحيى ابن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد ابن أسيد انه سأل عبد الله ابن عمر فقال يا أبا
عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر رضي الله عنهما يا ابن أخي ان الله بعث
النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر ابن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا
النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن ابن ابي الحسن عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال
من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر ابن
عبد العزيز الى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة
وقال ان ناسا يجادلونكم بمعنى القرآن فخذوهم بالسنن فان
اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وعن جبير حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
قال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس

وعنه

وعنه اني لست بتارك سنة لقول احد وانكم اعلم بكتاب الله
وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما استطعت وعن ابن
مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
أبي ابن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه
فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهو كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها الا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان
اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة
بدعة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون
على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر ابن عبد العزيز
الى عمر بحال البلد وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على
البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب
الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال
عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عن

الله ابن عمر يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا أدري إلا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمان
الحيري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر
الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا
ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال
والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وجاء في تفسير
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم وحكي عن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا
ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
إماما يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل فصل ومخالفة أمره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا أبو
محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما
قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد بن أبي سليمان
حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن
العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن
رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم
ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا
وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فمن رغب عن سنتي
فليس مني وقال من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع
عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على
أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث المقدام ألا وإن ما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه
وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن
يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال
صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره
أن أزيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا
وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع تعالى من
كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم

بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام
الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي
الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال
حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي قال
حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل
حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين
وعن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود
في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء
إلا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن
أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب
لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال
ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه
فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد ابن
عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد حدثنا

أبو

أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد
بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبدان حدثنا أبي
حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أنس رضي الله
عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول
الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا
رسول الله إني أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ
عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس
وعن أبي ذر بمعناه وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد
حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان
معي في درجتي يوم القيامة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك
فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك
إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل
الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى
الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي
وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيامة رفعك الله

بتفضيله فإن الله أولى به وفي حديث أنس رضي الله
عنه من أحبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف
والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا
الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة
حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي
لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله
ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن
الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما كان أحد
أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد
ابن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من
شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من
المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم
يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم
وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني
ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس رضي الله عنه أن تسلم أحب
إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها

وأخوها

وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب
إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء
البارد على الظمإ وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر رضي الله عنه
ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار * صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار * يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار *

تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله
بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح
يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت
امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه
ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما
أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو
سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا
مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن
محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس

فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب
أصحاب محمد محمدا عن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت
النبي صلى الله عليه وسلم حلّفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا
رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف
ابن عمر على ابن الزبير رضي الله عنهما بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل
في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم أن من أحب شيئا آثره
وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك
عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله
وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا
القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم
بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن

زيد

زيد عن سعيد بن المسيب قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي
ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي
ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض
هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله
صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما
أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه
يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند
قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا
وحزبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه
من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه
له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده
لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير
من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين
والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم

فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن
والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن
اللهم إني أحبه فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن
أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني
فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى
الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها إنها
بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعائشة في أسامة ابن
زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي
أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب
شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات
وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه
وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء
من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر
أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها
بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من
خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته

قال

قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا
أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد
الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها
أن يحب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به
واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله
حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب
السنة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر
منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل
أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب
الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم
كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة
تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به
وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من
يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك

وعلامة حب الآخرة

ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو
حديث أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال
سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت إلى
قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم
محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال
وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب
ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر
العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها
وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته
له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات
الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع
سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة
عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء
وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة
فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ
التعصب بقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء

عن

عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه
لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه
الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه صلى الله
عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاث الموجبة للمحبة أما
جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه
وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له
من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم ورحمة
للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ويتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى
صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه
إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه
على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من
العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم
البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه صلى الله عليه
وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار
وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال
فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا

أو استنقذه من هلكة أو مضرة ومدة التأذي بها قليل منقطع فمن
منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى
بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته
فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى
بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض
الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل** في وجوب
مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل
والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا
كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه أبو
الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله
حدثنا ابن عبد المومن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود
حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها

في اللغة

في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من شمعه
وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة
الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما
لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه
والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله
التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله
أبو سليمان وقال أبو بكر مؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه
الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى
رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات
القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو
بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا
بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه
ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال
دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية

وقال وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له
بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة
من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على
أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك
فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث
أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة
جبل يوما فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني
حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله
لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق
ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا

بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره
وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعززوه من العز ونهي عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس
وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل
أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك
من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى
هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله
سميع عليم قال الماوردي اتقوه في التقدم وقال السلمي
اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم
بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا
له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن
عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا
رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية

أخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على
الجدل ثنا وبلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت
الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل
ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة
كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف
جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت ابن قيس
ابن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله
وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال .
يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول
وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما
ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة
وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول
الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه
حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء
الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان ابن عسال

بينا

بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له
جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد
نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا
عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا
برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي
الصدفي وابن عجل الأسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا
حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا أحمد بن
عيسى حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد
ابن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق ابن منصور قالوا حدثنا
الضحاك ابن مخلد أنبأنا حيوة ابن شريح حدثني يزيد ابن
أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو ابن العاص
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت
أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت
لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي عن أنس أن رسول

لا تقولوا

الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين
والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم
إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر
إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم لهما وروى أسامة بن شريك
قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على
رؤوسهم الطير وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه
له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون
عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا
بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها
وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال
يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في
ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه
وفي رواية أخرى إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم
محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به
أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل ومن هذا لما أذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم
إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة
فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أو عرفنا
أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة
كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافر
وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته فصل واعلم أن
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته
وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على
كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من
حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتأدب بما أدبنا الله به قال القاضي أبو الفضل وهذه
كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله
عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري
وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا
أنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن
علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو

الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل
حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك
في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك الآية وإن حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل
القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم
تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام
إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله
قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقال مالك
وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه
قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم
علي ما ترون ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة

وقد

وقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا
وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء
والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم
يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد
جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت
آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من
أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه
ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى
يقوم الناس عنه ويتركوه ومروي عن قتادة أنه كان إذا سمع
الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو
جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان
ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه
وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند
سماع قوله **فصل** في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره

حدثنا ابو الحسن اللواتي فقيه حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد
بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة
فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله
او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد
وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال
ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن
انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال لم اجد موضعا اجلس
فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو
مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني
كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن
انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء
اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا
وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس

مالكا

مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه
وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي
اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان
يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال احب ان
افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا بالحديث على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان
الاعمش اذا حدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث
الا على طهارة ولا يقرا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
على وضوء قال عبد الله ابن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا
فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق
عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا قال
نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعن نفسي وسأله جرير بن عبد الحميد
القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاضي فقال
القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام ابن الغاز سأل مالكا عن
حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه فحدثه
عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ومن يزيدني حديثا
قال عبد الله ابن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما
طاهران وقال كان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان
الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات
المومنين أزواجه كما حض عليه الصلاة والسلام عليه وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم أجمعين **قال الله تعالى** إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى
وأزواجه أمهاتهم **أخبرنا** الشيخ أبو محمد ابن أحمد العدل من كتابه
وكتبته من أصله **حدثنا** أبو الحسن المقرئ الفرغاني **حدثتني**
أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت **حدثني** أبي **حدثنا**
حاتم هو ابن عقيل **حدثنا** يحيى هو ابن إسماعيل **حدثنا** يحيى هو
الحماني **حدثنا** وكيع عن أبيه عن سعيد ابن مسروق عن يزيد ابن حيان
عن زيد ابن أرقم قال **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم
الله أهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من أهل بيته **قال آل** علي **وآل**
جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه الصلاة

والسلام

والسلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما **وقال** عليه
الصلاة والسلام معرفة آل **محمد** براءة من النار وحب آل **محمد**
جواز على الصراط والولاية لآل **محمد** أمان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هو معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر ابن أبي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال **اللهم** هؤلاء
أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وعن سعد**
ابن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه
وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال **اللهم** هؤلاء أهلي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه **وقال** فيه لا يحبك إلا
مومن ولا يبغضك إلا منافق **وقال** للعباس والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي
فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه **وقال** للعباس اغد علي
يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته **وقال** هذا عمي وصنو
أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت
أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ أسامة
ابن زيد والحسن ويقول **اللهم** إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر

بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي
نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل
من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال صلى الله عليه وسلم
قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة
لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رضي الله
عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها
بعلي وعلي رضي الله عنه يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن
قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن
الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها
فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا
امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن
زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر
رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى
لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين

يديه

يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس
بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى
مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام
عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه
الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل
فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه
وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان
المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع
منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولأن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان
اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال

البشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارد بنتم ابيه فاشهدوا
وانه لعبد اعظم فرضها ابا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو
بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ووفدت حليمة
السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك
فصل ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار
لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي
فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو
الحسين وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي

نا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح
حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير
عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث
جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر
فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق
ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية وقال
من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ

بهم الكفار وقال عبد الله ابن المبارك خصلتان من كانتا فيه
نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب
عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن ابغض احدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف
ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه
سليما وفي حديث جابر ابن سعيد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك
ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف فاعرفوا لهم
ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها
الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم
احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا
وقال رجل للمعافى ابن عمران اين عمر ابن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد
معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واوتي
النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان
يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي
واصهاري

واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه
وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا
يوم القيامة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم
يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال
مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم
وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة
وطلب من المغيرة ابن نوفل ان يشفع له يوم القيامة قال
سهل ابن عبد الله التستري لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه
صلى الله عليه وسلم او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت
كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد
ابن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته
في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة من قتل بها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة

بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم بلا أشك من كتبها
ونفع به ابن رشد كثيرا وابن عمر واضعا يده على مقعد النبي
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان
مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله
أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي عنه أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له
الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى
أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة
الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان
له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه قال صلى
الله عليه وسلم في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي
صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها
ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا

منشدا

منشدا ... ولما رأينا رسم من لم يدع لنا
فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول أنشأ
يقول متمثلا ... رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام
وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال
العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على
رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي وجدير لمواطن عمرت
بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها
الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله
ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر
المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث
انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن طويت فيها الرسالة

وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم
نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به * هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري * من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها * من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها * أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرضها وفضيلتها **قال الله** تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية **قال ابن عباس** معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة **اللهم** اغفر له **اللهم** ارحمه فهذا دعاء **وقال بكر** القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة **وقال أبو العالية** صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل

وفرق

وفرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر ابن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة والثاني السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله والثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما **فصل** اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن ابن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر ابن بكير افترض الله على

تعالى فيه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي
أبو محمد ابن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال الفقيه أبو عبد الله محمد ابن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم
من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره
سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله
تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة وقالوا وأما
في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإمامان
أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين
من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد
غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلاته
فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول
ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري
والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر ابن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد
صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك
تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل المدينة
وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو
قول جمل أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد

الأخير

الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي
فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة وأوجب إسحاق
الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد ابن
أبي زيد عن محمد ابن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد
ابن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد
ابن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى
أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال
الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من أصحاب
الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا
أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة
عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس
عليه هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره
الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد
عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله ابن الزبير لم
يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس
وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان أبو

بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا على المنبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وفي الحديث
لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل
علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث
وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال
الدارقطني والصواب انه من قول ابي جعفر محمد ابن علي ابن
الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل في المواطن التي
يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مواطن
الصلاة عليه تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال [حدثنا]
الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم
الخزاعي عن ابي الهيثم ابن كليب عن ابي عيسى الحافظ حدثنا محمود
ابن غيلان حدثنا عبد الله ابن يزيد المقري حدثنا حيوة ابن شريح
حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو ابن مالك الجنبي اخبره
انه سمع فضالة ابن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا
صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وروي من غير هذا السند بتمجيد

الله

الله وهو اصح وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان الدعاء
والصلاة معلق بين السماء والارض فلا يصعد الى الله منه شيء
حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء
محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بحمده
والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح
الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان
احتاج الى شرابه شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن
اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره قال ابن عطاء
للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز
وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي
حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة
علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش
فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى

الله عليه وسلم أن نصلي على محمد عبدا ونبيا ورسولا أفضل
ما صليت على أحد من خلقك أجمعين ليس. ومن مواطن الصلاة عليه
عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته أو عند أذانه ذاك. وقد قال صلى الله
عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي. وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه
عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب. قال أصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله
الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله
وقاله أشهب قال وما ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه استنانا. ومنها النسائي عن أوس بن أوس عن
النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة
ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال أبو مصعب وابن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج
فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك. وقال عمرو بن
دينار في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على
أهل البيت ورحمة الله وبركاته. قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا

هنا المساجد. وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يكن في البيت
أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وعن علقمة
إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد. ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا
خرج ولم يذكر الصلاة. واحتج ابن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم
وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم
والاختلاف في ألفاظه. ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة
على الجنائز وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة. ومن مواطن
الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة
ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم
فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا
الكتب. وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب. ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة. حدثنا
أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره
قالوا حدثتنا كريمة بنت محمد قالت حدثنا أبو الهيثم
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو

نعلمه حدثنا أبو عمر عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل
التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فإنكم إذا فعلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض
هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر أنه كان يقول إذا فرغ من تشهده وأراد
أن يسلم واستحب مالك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل
السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما
كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم
واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في
السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة
وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا أبو إسحاق
إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي أبو
الأصبغ حدثنا أبو عبد الله بن عتاب حدثنا أبو بكر بن
وافد وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى
حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن
سليم أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول

الله

الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه
وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية
مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد كما باركت
على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم
وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما
صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على
إبراهيم إنك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم
صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وفي رواية أبي سعيد
الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وفيما
أقرأنيه القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف
النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه
حدثنا أبو بكر المطوعي حدثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي
بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن
عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن
أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك

حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ءال محمد كما ترحمت على
ابراهيم وعلى ءال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد
وعلى ءال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ءال ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ءال محمد كما سلمت على ابراهيم
وعلى ءال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات
المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وعن زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه
وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا
اللهم بارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل
شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس ءالاء الله تصل باهله اسبابه به
هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام
ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق
رحمة

رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك
ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعن علي
في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير
الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد
الله ابن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على
سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به
الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى ءال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى ءاله واصحابه واولاده وازواجه
وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته

وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن مجاهد وسعيد عن ابن
عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا
أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك
وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة وعن
ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله
عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون
والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم
إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
آل إبراهيم إنك حميد مجيد وما يوم في تطويل الصلاة وتكثير الثناء
على أهل البيت وغيرهم كثير وهو لنا والسلام كما قد علمتم هو ما
علمتهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام
على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام
على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب
منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

في الحالتين

دائما

السلام

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحث
من الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة وفي حديث
الصلاة عليه أيضا فضل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره حتى
من جاء بيت الترقوة إلى ذهب أبو عمر ابن عبد البر وغيره
إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له
بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبراهيم وآل
إبراهيم ولم يأت في حديث صحيح وحجته قوله في السلام
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة
الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له حدثنا أحمد بن
محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث
حدثنا أبو بكر بن معاوية حدثنا النسائي حدثنا سويد
ابن نصر حدثنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني
كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع
عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون
أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وعن أنس ابن
مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه

وفي

عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي
رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه
وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه
عشرا ورفع له عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله
تعالى يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد
الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المقعد المقرب
عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى
علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت
قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

ما اجعل

ما اجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي
طلحة وجدت على النبي صلى الله عليه وسلم من البشر والطلاقة
ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني
ببشارة من ربي عز وجل ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس
احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة وعن سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه قال من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله
ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وعن ابن وهب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق
رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة
صلاتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها
ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصديق الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
حدثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا
ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم
عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف
رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
وأظنه قال أو أحدهما وفي حديث آخر أن النبي صلى الله
عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل أتاني فقال
يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار
فأبعده الله فقل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي
ابن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن البخيل كل
البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة قال أبو
القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل
أن يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم
من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة
رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
عنه

عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي
وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن
من ريح الجيفة وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا
كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي
صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه
وسلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا ابن عوف حدثنا
المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله
ابن قسيط عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه
السلام وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي
نائيا بلغته وعن ابن مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض
يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر
أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل
جمعة وفي رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي

حيث بلغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما
كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد
من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه
اسمه وعن الحسن ابن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث
كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس
اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي
وعن سليمان ابن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من
الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فإنهما يؤديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا
حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول
كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا تجوز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي
الصلاة

الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى
الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى ابن اسحاق
اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا
به قال يحيى ابن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلاة على
الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد
روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فإن الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى
يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل
على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم
صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد

وعلى أزواجه وذريته وفي حديث آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه
وقيل أهل بيته وقيل أمته وقيل آله أتباعه ورهطه وعشيرته
وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم
الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد
محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله تعالى به هو الصلاة على
محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا
من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث أبي حميد
الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب
عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم
اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله
مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء
عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما
يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا

يشاركه

يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم
كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم
من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يقولون ربنا
اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر
الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في
بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل
البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر
الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم
التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى
الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون
الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام
أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا **فصل** في حكم زيارة قبره
صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها **روي** عن ابن عمر رضي الله عنه
حدثنا القاضي أبو علي قال **حدثنا** أبو الفضل ابن خيرون و

قال حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا أبو الحسن علي بن عمر
الدارقطني قال حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد
بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن أنس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا
كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر
من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك أن يقال زرنا
قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل
كراهية الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات
القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك
لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس
كل زائر بهذه الصفة وليس هذا عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة
زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال أبو
عمران رحمه الله إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر
النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم
لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا
اللفظ وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي إلى
قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب

وتأكيد

وتأكيد لا وجوب فرض والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له
لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي
لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم قال إسحاق بن
إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة
المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن أبي فديك سمعت
بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة
إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام
قال غيره وكان يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت
أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه
حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

ثم انصرف. وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبي
صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة
ويدنو ويسلّم ولا يمس القبر بيده. وقال في المبسوط: لا أرى أن
يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلّم ويمضي. قال
ابن أبي مليكة: من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل
القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه. وقال نافع: كان ابن
عمر يسلّم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، السلام على أبي بكر، السلام على أبي
ثم ينصرف. ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه
وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. وعن ابن قسيط والعتبي
كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسّوا رمّانة
المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون. وفي
وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف
على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى أبي بكر وعمر. وعند
ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر. قال مالك في رواية ابن
وهب: يقول المسلّم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.
قال في المبسوط: ويسلّم على أبي بكر وعمر. وقال القاضي أبو الوليد
الباجي: وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة
ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف. وقال ابن حبيب: ويقول
إذا دخل مسجد الرسول: باسم الله وسلام على رسول الله، السلام علينا
من ربنا، وصلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي

ابواب

أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم. ثم اقصد إلى
الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك
بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه
وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل
وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض
الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة. ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلّم على أبي بكر وعمر
وتدعو لهما. وأكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء. وقال
مالك في كتاب محمد: ويسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك. قال محمد: وإذا خرج جعل
آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا. وروى
ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: إذا دخلت المسجد فصلّ على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك.
وإذا خرجت فصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم وقل: اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك. وفي رواية أخرى فليسلّم فكان
فليصلّ فيه. ويقول إذا خرج: اللهم إني أسألك من فضلك. وفي أخرى
اللهم احفظني من الشيطان. وعن محمد ابن سيرين كان الناس
يقولون إذا دخلوا المسجد: صلى الله وملائكته على محمد، السلام..
عليك أيها النبي ورحمة الله، باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا

وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن
فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى
الله على محمد ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد
الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية
بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب
رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد
فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال
مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل
المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا
لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له إن ناسا من
أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم
مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو
أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من
أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما
أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم
ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء
لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها

يفعل ذ

من

من أجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن
سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي حيث
العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه
للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى
المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم
أحق أن تقوم فيه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد
هو فقال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن
عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء
حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين
بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد
المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود حدثنا
مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد
الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الأقصى وتقدمت الآثار في الصلاة والسلام على

النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل
المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال
ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من أهل البلد لأدبتك إن
مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد
أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه
عما يكره قال القاضي إسماعيل في مبسوطه في ذلك في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم يتفقون أن حكم
سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسماعيل وقال محمد بن
مسلمة ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر على
المصلين فيما يخلط عليهم صلواتهم وليس مما يخص به المساجد
رفع الصوت فيكره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
إلا المسجد الحرام ومسجد منى وقال أبو هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد
الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في
رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه
إلى أن معنى الحديث أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل
من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام فإن الصلاة

في مسجد

في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على
تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب
ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل
مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه
الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي
هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا
بمائة صلاة ومعنى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد
الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف
أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا
التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن
ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من
رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها
حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد وزاد ومنبري

على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع الجنة
قال الخطابي فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع أنه روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري
والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا
الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان قبره
في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه
منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو الظاهر والثاني أن يكون
له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما
أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك
البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها
أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم وقال فيمن تحمل عن
المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما
المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج أحد
من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي
عنه صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا

القيامة

بعثه

بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق
آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر من استطاع
أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها وقال
تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى
للعالمين الآية قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل
كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا خارجا عن الحرم ولجأ إليه
في الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس
وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي أبيض البدن فقال لعله حج
ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن
حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على
النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال
مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه
صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الأسود
إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر
يوم القيامة من الآمنين قال القاضي الفقيه أبو الفضل قرأت
على القاضي الحافظ أبي علي حدثنا أبو العباس العذري قال
حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا
الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد

سمعت ابا بكر محمد بن ادريس قال سمعت الحميدي قال سمعت
سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد
بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما
دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن
عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان
الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال
ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو
اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا
استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر
الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد
دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة
فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ذكرنا

نبذا

نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من ابواب تعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على نفع العامة والله الموفق
للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع او يصح
من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله • الرسل افإن مات
او قتل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي الآية محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من
البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم
مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته وقال تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن
في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء
والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه
يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم

بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام
والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم
متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة
بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز
البشرية وضعف الإنسانية إذ لو كانت بواطنهم خالصة
للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت
أجسادهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من
قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر
ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة **كما قال** صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن
أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن **وكما قال** تنام عيناي
ولا ينام قلبي **وقال** إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي
ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص
والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمنها كل ذي همة بل الأكثر
يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله
وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول** فيما يختص بالأمور
الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر
الأنبياء

الأنبياء صلوات الله عليهم **قال القاضي** أبو الفضل وفقه
الله اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر
لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض
والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها
والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة
الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي
تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله
بما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله
عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه
أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان
به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين
والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه
والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع
إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون
في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم
عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم
في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة

القلب وزوال المنازعة بمشاهدة الإحياء فحصل له العلم
الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه
ويكون قوله تعالى أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك
واصطفائك **الوجه الثالث** أنه سأل زيادة يقين
وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فأراد أن ينتقل من النظر أو الخبر
إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس
الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف
غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه
الرابع** أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه الخامس**
قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء
الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه السادس**
أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي
لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا
بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك
إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن المراد

أمته

أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق
إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه فإن قلت
فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون
الكتاب من قبلك الآية فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك
ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا
واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل **يا محمد** للشاك إن كنت
في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
قوله قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن
أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا
تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء ألا
تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية وهو صلى
الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب
به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية
قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه
وسلم ليسأل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول
لا المستخبر السائل وقيل إن هذا الشك الذي أمر به غير النبي

والقول الأخير مشهور والأول وقد علم أنه لم يشك وقيل معناه ما كنت
في شك فاسأل تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك وقيل إن
كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك **وذكر** عن ابن عطية أن المراد إن كنت في شك من
غيرك فيما أنزلنا إليك قيل فما معنى قوله حتى إذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك
ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل
بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم
النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين وقيل إن ضمير
ظنوا عائد على الأتباع وأن ضمير كذبوا على الأنبياء والرسل وهو قول
ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى
في المجاهد كذبوا بالتخفيف فلا تشتغل بالكلام من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء وكذلك ما ورد في حديث
البعثة ومبتدأ الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما أتاه الله بعد رؤية الملك
ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي
فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد
لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه وإعلام الله تعالى له
بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر
وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا

صلى الله عليه وسلم فيسأل الذين يقرؤون الكتاب إنما هو
فيما قصه الله من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد
والشريعة ومثل هذا **قوله** تعالى وسل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة
للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد الغير وقيل معناه سلنا عمن
أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون إلى آخر الآية على طريق الإنكار
أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن
يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من أن
يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله
ابن زيد وقيل سل أمم من أرسلنا من قبلك هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو
معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي
قبله إعلامه بما بعثت به الرسل وأنه تعالى لم يأذن في عبادة
غيره لا حجة لأحد منهم كما ادعت عبدتهم في قولهم إنما نعبدهم
ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك **قوله** تعالى والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين بما
أوحي إليهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في أول الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أن قيل
بالحق لمن شك وإن الخطاب تكون من الممترين بدليل قوله أول الآية
أفغير الله أبتغي حكما الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب
بذلك غيره وقيل هو نحو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني

وأمي

له عليه السلام لئلا يفجأه أمر ومشاهدة ومشافهة فلا تحتمله
لأول حالة بنيته البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار
حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس
عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال
اقرأ فقلت ما أقرأ ونحوه في حديث عائشة في غطه له وإقرائه له
اقرأ باسم ربك السورة ثلاثا قال فانصرف عني وهببت من نومي
كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون قلت لا تحدث
عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي
منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا
جبريل على صفة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال صورة
وقصده ما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل إعلام
الله تعالى له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل أنه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني إذا
خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ومن
رواية حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني أسمع
صوتا وأرى ضوءا وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله

في بعض

في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظ يفهم
منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل
لقاء الملك له وإعلام الله أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ
لا يصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحاق
عن شيوخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من
العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما
كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما
الآن فلا وحديث خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها
الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها
لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر خديجة أن تختبر الأمر
بذلك وفي حديث إسماعيل بن أبي حكيم أنها قالت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك
إذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي
وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك
يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل على أنها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا

حزنا عدامنه من ارادة تنزيه ومن شواهد الحال ما يعرف به هذا
الا ان الفعل معهم عنه فيما بلغنا ولم يثبت ولا ذكر رواته ولا من
حدثنا به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول
الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما
قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا
الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن محمد
ابن عبد الله بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار
الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على
ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها
فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة
لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقوله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة وقيل نقدر عليه
العقوبة
ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه
وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام
ولا يليق ان يظن بنبي انه يجهل صفة من صفات ربه
وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو

وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه عز وجل اذ مغاضبة
الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبياء
وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في
الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر
امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني
فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال
يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الى مائة الف ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب
الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى
الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة
مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان
يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام ..
بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد
واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره
والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم
الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من
سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا

الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة
الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من
مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع
مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على
جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي
وذهبت طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال
بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه
في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره
من أمر أمته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر الله لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى
الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار قال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار

قال

قال غيره ويستشعر الحذر ولا يركن إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون
هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبودية كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون
يحمل
عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الأخيرة ما روي في بعض طرق هذا
الحديث عنه صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من
سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم
إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول
من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل أن الله لو
شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله
حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله
وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم
بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منهما دليل على
كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية
نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها
أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال فيه ....
ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوي عنه علمه وأكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه
بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى
معناه مكي كذلك أمر نبينا في الآية الأخرى بالتزام الصبر على

أمر إخوته ولم يخرج عن حد العاقل بل حال الجاهلين بشدة التحسر
حكاه أبو بكر ابن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد أي فلا تكونوا من
الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل
وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا
قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذا..
وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه...
كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله تعالى ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله تعالى إذا لأذقناك ضعف
الحياة الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر
من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك
وقوله فإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه صلى الله عليه وسلم
لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك به ولا يتقول
على الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع
الكافرين لكن يسر أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين
وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى
قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا..
لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل
الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة فمعناه أن هذا جزاء من
فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله

وإن

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فالمراد غيره كما
قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم
على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره
وأن هذا حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان
من الظالمين فصل وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة...
فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار
والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا...
ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف
ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من
القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا
نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا
الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر ممن كانت
هذه سبيله وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته
وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص
الله تعالى عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك
تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان
قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين بتلونه

تعييره وتلونه في معبوده محتجين ولو كان ثم بعضهم له بتقبيحهم
بما كان يعبد قبل لجمع وأفظع في الحجة من توبيخه بتقبيحهم بما
تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على
الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما
سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد
أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه
جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا
حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به
أخبار المبدإ ولا يشبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر
والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من
العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد
فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين
شركائي أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط

بالله

بالله طرفة عين فقد قال الله عز وجل عنه إذ قال لأبيه وقومه
ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم
أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن
قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
قيل إنه إن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم
على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال
فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على
الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل
عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى
ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما
ليس له ابتداء بمعنى الصير كما جاء في حديث الجهنميين عادوا
حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
وما كان قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك
إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك
وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها والضلال ههنا
التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب

ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام.
قال معناه القشيري، وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل
قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين وقيل
ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة وقيل المعنى
ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن
علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا
أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال إنك لفي ضلالك القديم
أي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله
لكفروا ومثله عندهم قوله إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة
وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه
لقوله وأنزلنا إليك الذكر لتبين الآية وقيل ووجدك لم يعرفك أحد
بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم أحدا قال من
المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام
قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين
شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى
أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل
الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر

القاضي

القاضي نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال وقد كان
قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد
بالتكليف إيمانا وهو أحسن وجوهه فإن قلت فما معنى قوله وإن
كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم أنه ليس بمعنى قوله والذين هم عن
آياتنا غافلون بل حكى أبو عبد الله الهروي أن معناه لمن الغافلين
عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا بوحينا وكذلك الحديث الذي
يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع
ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال
الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو
شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من
قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته
أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه
فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت
منها من صنم تمثل لي شخص أبيض يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد
لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه
وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبو طالب وهو
صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط
بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه
فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه
وسلم وتوفيق الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف
إبراهيم عليه السلام. فصل قال القاضي أبو الفضل وفقه
الله قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي
وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها
قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه
ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد
قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف
فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء
العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على
خلاف ما هو عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة
بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا
تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن
ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا

إلى

إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح
دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا
بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا العقد مما
يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم إلا العلم به
ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده
ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك
باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم
سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء خرجه
الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا
هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه
الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو
الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات
ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه
فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان

لا يعلم منها إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم
جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما
أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها
لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من
ملكوت السماوات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته
الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأ
والأشقياء وعلم ما كان وما يكون فيما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم
من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو
فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله
إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر
ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل
أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله
أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به في علم
الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد
ابن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا ما لا خفاء به
إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد

النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور
الدينية فصل واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى
ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي الحافظ
أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الفضل ابن خيرون العدل
حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني
حدثنا إسماعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله
تعالى أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا
بخير وعن عائشة بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم (أي)
أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم
يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر
إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي أبو الفضل وفقه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم
صحبته ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي
الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه
وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه

له في صلاته فأخذه النبيء صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح
قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال
عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون
اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده
الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم
ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبيء
صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له
ثم اراد اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به
ولدان اهل المدينة وكذا له في حديثه في الاسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى
عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبيء صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر
في صورة سراقة ابن مالك وهو قوله واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا
فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في
خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين
لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها
من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله واما
ينزغنك

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين
انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله
وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى
الوسوسة فأمره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل
له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول
الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبيء صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته الآية فاعلم ان للناس في معنى هذه الآية
اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال
فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي
حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غيره الى

على اقتطاع الشارع من التحريف وسوء التأويل ما يليق بالله
وتنقيحه وتكميل لبسه وتحكيم آياته وسنأتي الكلام على هذه
الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله وقد حكى السمرقندي إنكار قول
من قال إن تسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا
لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو
الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب وقوله إني مسني
الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان
هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله
وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه الشيطان
ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما
أنسانيه إلا الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه الشيطان
ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي
إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من
عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد
مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان
أو فعله كما قال تعالى طلعه كأنه رؤوس الشياطين **وقال** صلى الله عليه
وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا
الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى **قال**
الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ بعد موت
موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله

في قوله فأنساه الشيطان قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان
ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك
شأن يوسف عليه السلام وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسوسة ونزغ وإنما هو بشغل
خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا
وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه
ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره
فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالا فلم
يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان
في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن
جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن
الصلاة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله **فصل** وأما أقواله
صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه
من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة
مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا
وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ
أبي إسحاق ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود

الشرع باستحالة الحال وعصمة النبيء من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه بما اختلاف بينهم
في مقتضاه لبيان المعجزة ولا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب
فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه
خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربه
وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا
في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن
عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت
في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا
ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت
المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا
صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم
وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان ولو جوزنا عليه الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل والمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو
إسحاق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات

منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة
والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى ويروى
ترتضى وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق
العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان
ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لو
نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى
أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل
عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال
له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا
نبيء إلا إذا تمنى الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية فاعلم أكرمك الله
أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في
توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك
أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
متصل سليم وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس
ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع

ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف
كلماته، فقائل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول قالها في نادي قومه
حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة،
وآخر يقول بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول إن الشيطان قالها
على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما
هكذا أقرأتك، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة. ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا
رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية،
والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فيما أحسب، الشك في الحديث، أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة. قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعلمه
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم
يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن
جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه
من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي
لا يوثق به ولا حقيقة معه. وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه
الله. والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم

وهو

وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. هذا
توهينه من طريق النقل. فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة
وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن
مثل هذه الرذيلة، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة
غير الله وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي صلى الله عليه
وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام،
وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم، أو يقول ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر، أو سهوا
وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا
ولا سهوا، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان،
أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا
سهوا ما لم ينزل عليه، وقد قال الله تعالى: ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية، وقال تعالى: إذا لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات الآية. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد
الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف
والنظم، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى
على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة

ينزل

فصح الكلام عليه ووجه ثالث انه علم من عادة المنافقين
ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد
من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في
هذه القضية شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها
اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قضية الإسراء حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قضية
القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند
فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس او الجن على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه
القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان
الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون
هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم
يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية
أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله
عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية
وهي

وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى
في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن
عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا
برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري
القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه
إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن
الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى هذه الآية
تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها
فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومراده ظاهرة التنزيه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على
كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها
الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه
وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على
لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة
من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه
في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي
قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن

قال أو سهو قلنا أخبر بأن الحال قال إن إلقاء الحال من الشيطان وكل هذا يمتنع
أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصرا ولا يتقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء
تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام
هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي
أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام
قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه
يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات
عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه
من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم
وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك
على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم
الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك
في أسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه
وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله
تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا

قال

قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث
فيها نفسه وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد
الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير
المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن
إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه
ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا
يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق
العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد
بالغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية
وبهذا فسر الكلبي الغرانيق أنها الملائكة وذلك أن الكفار
كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله
كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون
على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك
وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم
آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للإلباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله
تعالى ذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء

وما يطرأ به إلى الغافلين ويجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما
قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه
وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله
فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله
وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق من الباطل
وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه
تعالى بقوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام أنه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا
كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب
مغاضبا فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا
الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن الله مهلككم وإنما فيه
أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من
كذبه لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان
ذلك كما قال ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتداركهم
قال

قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فإن قلت فما معنى ما روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال
لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول
أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول النبي صلى الله
عليه وسلم اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب
سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس رضي الله
عنه أن نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم
ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله وإياك
على الحق ولم يجعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن
مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن
ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى
هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا والعجب لسليم
العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر
مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين
ولم يذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله
وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم
الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث أنس رضي الله عنه وظاهر

حكايته اقل شيء فيه ما ذكر على انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد
علل البزار حديثه في ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه
حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا
حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس رضي الله عنه الذي
خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل
نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان
فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز
النسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم
او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه
او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان
ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة فطنة
الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام
الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك
في آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب
فقد يكون هذا فيما فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا
جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله
عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم
الله

الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت
الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين
في غير المقاطع قرأ بهما الجمهور جميعا وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى
العظام كيف ننشزها وننشرها ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب
ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان
هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير
القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول
فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي
لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل
في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي سخطه وجده ومزحه
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك
انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن
لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل
وقع فيه سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم
من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي
الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال

السهو وكانت هزيلة من أبي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو
الله وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله
عليه وسلم لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو
كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه صلى الله عليه
وسلم عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا
لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله والله
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه
وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير
حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل ما في هذا الباب
والذي بعده إن شاء الله مع أشباههما وأيضا فإن الكذب متى عرف
من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب في خبره
واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك أهل الحديث
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة
الغلط مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية
والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع ويشيع
مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع
هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء

به

به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك
ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على
الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد
ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس
طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا
الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم
عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد
ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني من القسم الأول ما يبين لك صحة
ما أشرنا إليه **فصل** فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث السهو الذي **حدثنا** به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم
ابن جعفر **حدثنا** القاضي أبو الأصبغ ابن سهل **حدثنا** حاتم ابن
محمد **حدثنا** أبو عبد الله ابن الفخار **حدثنا** أبو عيسى **حدثنا**
عبيد الله **حدثنا** يحيى عن مالك عن داود ابن الحصين عن أبي سفيان
مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام
ذو اليدين فقال أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت
الصلاة وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنهما لم تكن

وقوله كل واحدة من الحالتين فإن وانتقد كل بعضه الحال من رسول
الله فأعلم وفعل الله وإنما أراد تسعة من الأجوبة بعضها
بصورة الانصاف ومنها ما هو مبنية التعسف والاعتساف وها أنا
أقول أما على القول بجواز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة
ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في
خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار
القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا وأما النسيان فأخبر صلى الله
عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر
بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا ووجه ثان أن قوله
ولم أنس راجع إلى السلام أي أني سلمت قصدا وسهوت عن العدد
أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو
أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك
لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ
خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ

على

على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل وفقه
الله والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله
لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس
ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل
أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل
نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق
أنه نسي وأجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر
وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه
آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان
قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان
يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا
إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف
في قول وعندي أن قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك
الذي هو أحد وجهي النسيان أراد والله أعلم إني لم أسلم من
ركعتين تاركا لإكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن من تلقاء نفسي
والدليل على ذلك قوله إني لأنسى أو أنسى لأسن وأما قصة كلمات
إبراهيم صلى الله عليه وسلم المذكورة أنها كذباته الثلاث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم

هذا وقوله للملك عن زوجته إنها أختي فاعلم أكرمك الله أن هذه
كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا غيره وهي داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال
الحسن وغيره معناه سأسقم أي أن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر
لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي
من الموت وقيل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل
كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم
وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها
وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في
استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه وأما قوله بل فعله كبيرهم
هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف
فيه وأما قوله أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام
وهو صدق والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا
النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب إبراهيم
إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه
أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا

هذه

هذه الكلمات وإن كان مفهومه ظاهرها خلافا لباطنها أشفق
إبراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها وأما الحديث كان النبي صلى
الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول
إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر
السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه
يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف فإن
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم
فقال أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه
الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خبر
قد أنبأ الله أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا
كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى
الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن
حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا
عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله
أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وأمور
الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر
مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى عليه السلام أعلم على الجملة بما تقدم وهذا
أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من

لربنا علماً وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء إنكاراً لهذا
القول عليه لأنه لم يرد العلم إليه كما قالت الملائكة لا علم لنا
إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعاً وذلك والله أعلم لئلا
يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من
أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء
فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها إلا من عصمه الله فالتحفظ
منها أولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظاً
من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث إحدى
حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى ولا يكون الولي
أعلم من النبي وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن
يكون فعله بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن
موسى نبي غيره إلا أخاه هارون وما نقل أحد من أهل الأخبار في
ذلك شيئاً يعول عليه وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم
وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج إلى إثبات نبوة ..
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ
عن الله والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال آخر إنما ألجئ
موسى للخضر للتأديب لا للتعليم فصل وأما ما يتعلق بالجوارح
إلى
من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي
وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما

قدمناه

قدمناه من معارفه المختصة به فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع
الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحاق ..
وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
في التبليغ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من
قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم إلا حسيناً النجار فإنه
قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلاً وأما الصغائر فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا
به وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين وذهبت طائفة
أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر
كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها
من الكبائر وإشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره إن كل ما عصي
الله به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو
أكبر منه ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي
أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا
على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في

العفو عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة
أئمة الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء وقال بعض أئمتنا ومما يجب
على القول بأن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثيرها
كثيرها إذ يلحقها بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى إزالة
الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا
أيضا مما يعصم منه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك
بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه
عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة
المكروه قصدا وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر
بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا
وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي
حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا
وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية
وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طائفة إلى الإباحة
وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم
الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من
أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو

المعصية

المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما
على من يرى من الأصوليين تقديم الفعل على القول إذا تعارضا
ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا
صلى الله عليه وسلم مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل
وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه
وعلى هذا المأخذ تجب عصمته من مواقعة المكروه كما قيل إذ الحظر
أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه وأيضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بأفعال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله
فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم
برؤية ابن عمر إياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا أخبرتيها أني
أقبل وأنا صائم وقالت عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي
أخبر بمثل هذا عنه وقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال إني لأخشاكم
لله وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها
لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها
ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم
وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله

واعتذارهم بما ذكرناه، وأما المباحات فجائز وقوعها منهم
إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة
عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة
لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب في خصال نبينا
صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر
أنبيائه عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن
وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح إن شاء
الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون
بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه
وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا فقال
جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على
هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام
الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم
بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان

ذلك

ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره
وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا
به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع
ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك
إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر وقالت فرقة أخرى
بالوقف في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء
في ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في أحدهما
طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إنه كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا
فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل
إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه
جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهر فيها ما ذهب إليه
القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك
لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في أن عيسى آخر
الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة أيضا للآخر في قوله أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا
ولا للآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل
هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين

هو الله فيصدق لهم اخبره وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ولم تكن له بعد نبوة كيوسف ابن يعقوب على قول من يقول إنه ليس
من رسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية اسباطا بعضهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فبان ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم او يخالف بينهم اما
من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال
الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن
قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بحسب وجهه في كل نبي فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب
به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به
وكونه ليس بمعصية لهم مع امهم سواء ثم ذلك على نوعين ما
طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال
في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها

يوجب

يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال الاستاذ ابو اسحاق وذهب الاكثر
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام
المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل
وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا
بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان
والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير
شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لانسى او انسى لاسن وقد روي
لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ
وتمام له في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان
القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط
بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان
الاحكام من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور دينه
واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال

عليه

بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحطه من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها
بعد هذا إن شاء الله فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها
السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز
فيه السهو عليه صلى الله عليه وسلم وما يمتنع وأحلناه في الأخبار
جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه
صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث
ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الأحاديث مبنية على
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به إذ
البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه
لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة
فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه
وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه
وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم
الله

الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى
أنسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل
هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم
أي أنسى أنا أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه أن يريد إني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى
على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى
مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان
له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر
وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان
ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله
عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج
بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله
عنه وقالوا إن سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله
إني لأنسى أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم
من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره

منهم ومما أن ينبه وبه حجة لمن أنكر النهي بعينه في قوله إني لأنسى
ولكن أنسى إذ ليس فيه حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه
وكراهة لفظه كقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا
وما بعده نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن
قلبه لأن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما نزل في الصلاة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالخوف من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي فات يوم الخندق أربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز
تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو
مذهب الشاميين والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو
ناسخ له قال فإن قلت فما الفرق بين نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم
الوادي وبين قوله إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء
عنه أجوبة منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصحح هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها
قط ومثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده الله من إثبات حكم وتأسيس
سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا
ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى
يسمع غطيطه ثم يصلي ولم يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه

وضوءه

وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يكون الاحتجاج
به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر
فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعنا غطيطه ثم أقيمت
الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في
النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس
هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله قبض
أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإن قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب إنه
كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة أول
الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير
النوم عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول
نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني وقد قال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها فاعلم أكرمك
الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت
آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي إن الغفلة في هذا لم تكن
منه ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسي وقد قيل إن هذا
منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه صلى الله عليه
وسلم لما أسقطه من هذه الآي جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه

وتوصيله إلى عباده ثم تستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما
قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز أن
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسى
منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه
وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام
على ما احتجوا به في ذلك اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من
الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت
بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل
ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات
في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
إلى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه
الأعمى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم
ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية

وقوله

وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك
إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن
داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى قوله مآب
وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله
عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الأنبياء في
الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه ليغان على
قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب
إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي
وترحمني الآية وقد كان الله قال له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم
مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه
الظواهر فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم وما تأخر
فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل
ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل
المراد به أمته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك
آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

في عاجله

من ذنبك

قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لأمته
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل
بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله
ابن عباس فمقصد الآية إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال
بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوءة وهو قول ابن زيد
والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه إنه حفظ قبل نبوته منها
وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل
المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى أنقض ظهرك أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل
ذلك لما قبل النبوءة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل
نبوته وحرمت عليه بعد النبوءة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق
منها أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت
لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه
من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من
وحيه وأما قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية

ولا عده

ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
تعالى من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل
ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى
فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم
يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك
ذنبا قال الداودي وإنها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله
وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيتين
فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال
صلى الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل
فما معنى قوله تعالى تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب
لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه
بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر
واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر

أن يعفو عنهم الغفور ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني
أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر
الأسرى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب
السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا
القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا أنه
سبق في اللوح المحفوظ أنه حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي
الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسرى
إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفدى على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفدى ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم
يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين
مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا
مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه
القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا
من تصويب رأيه ورأي من أخذ بأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته
وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله

ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم
في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك
وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله
وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا
في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن
كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد
من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن
الأسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره
الله تعالى عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها
والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب هذا
معنى كلامه وأما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه إثبات ذنب له
صلى الله عليه وسلم بل إعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى
وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين
وتوهين أمر الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وما
عليك ألا يزكى وقيل أراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي

صلى الله عليه وسلم فإنه أبونا وأما قصة داود عليه السلام
وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ونص جل تعالى عليه بالمعصية
بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله
تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم
نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه
من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية فقيل نسي ذلك بما
أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه
فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف
إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين
على أن العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه
ضعف لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا
لم تكن معصية وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على
خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ أبو بكر بن
فورك وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر
أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولا
وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن
شجرة

شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله لم ينهه عنها نهي
تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال فتاب
عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت
عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا
آخر الفصل إن شاء الله وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على
بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيه أبق
وذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه وقيل إنما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم
عفا عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
إلا على قول مرغوب عنه وقوله إذ أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون
تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن
قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على
قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي
في معناه نزه ربه عن الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة وإنزالهما
إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى

ما شهد به فيه أبو حيان يروى عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في
حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داوود أنما فتناه إلى قوله
وخر راكعا وأناب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه اختبرناه وأواب قال
قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داوود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على
ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن
يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه
أن يستشهد وحكى السمرقندي إن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد
الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن
من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا وإلى نفي ما أضيف في
الأخبار إلى داوود من ذلك ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداوودي ليس في قصة داوود وأوريا خبر يثبت ولا
يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل إن الخصمين الذين اختصما إليه رجلان
في نتاج غنم على ظاهر الآية وأما قصة يوسف وإخوته فليس على
يوسف منها تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام
على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال
المفسرون يريد من نبئ من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين
فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف
حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإن
ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم وأما قول الله تعالى فيه
ولقد

ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فعلى مذهب كثير من
الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله
صلى الله عليه وسلم عن ربه إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت
له حسنة فلا معصية في همه إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء
والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي
الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم
عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي
ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى
وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الأبواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي
الله وقيل الملك وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها
أي غمها امتناعه عنها وقيل هم نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها
بها
وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى
يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه وأما خبر موسى صلى الله عليه وسلم مع قتيله
الذي وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين
على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال
قتادة

فتناوله وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ولما
وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن
جريج قال النبي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل وانما وكزه يريد بها
دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوءة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى
الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى
الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز
الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور
له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه
عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله تعالى
انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف

واما

واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفاسير من ذنبه وقوله
ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق
رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء
الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي
القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل انه
لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على
خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله
بعض الاخباريين من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبياء من مثله وان سئل لم يقل سليمان في القصة المذكورة
ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي
ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا
سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على
ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان
الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد

أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من
أنبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون في الحال للملا وحجة على
نبوته كإلانة الحديد لمن أيد به وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد
صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام
فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عليه من ذلك
لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا التأويل وعتب عليه
وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من
أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة
أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله
إليه ما يوجب معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي
كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل
أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها

من

من نقمة النمل هنا ولم يأت في كل هذا أمر أنهي عنه فيعصي به ولا
نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله
أعلم بذلك وقيل فما معنى قوله عليه السلام ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد
إلا يحيى ابن زكرياء أو كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب
الأنبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فإن قلت فإذا
نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف
الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم
وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على
الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا ثم ووخذوا عليها
بها
وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل
أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي
ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم
لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني
الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالتهم فكأن
هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
لتطهيرهم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر

الظاهر والخوف والخشية لله والمقامات في الدين والمعاملة وغيرهم
يتلوثون من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إلى غيره
النقائص في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين
أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي
مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها
والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته
وهذا يوسف عليه السلام قد وخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني
عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل
أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث
قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم
يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر
الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقال
المحتج للمقالة الأولى على سبيل ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون
بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وكانوا
أرفع حالا فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا
لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه

ربه

ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد
قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة
سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين
زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار
إلى نحو مما قدمناه وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في
درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص
الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا
صلى الله عليه وسلم وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا
فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها
وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى
الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبدا
شكورا وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد
خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم

الأمور وقد قالوا إن الأنبياء يعلمون ربهم ويخشونه هم أشدهم كما
قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه
بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار
والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار
فيه معنى التوبة وقد قال الله لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال
تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فصل قد استبان لك
أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم
عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك
كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء
مما قررناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو
أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط
والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه
يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز له أو
يستحيل

يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف
ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار ولهذا ما
احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف
في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا
فتهلكا هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها
جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين
للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه
ويبتني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهو الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه
وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من
بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه
لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب
اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه
في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم
والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه
الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع
الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري

من أمثاله فيه نقص أو مزح فإما أن يجري على مقتضاه مثل من لم
أو يشفع حقا أو ينصح حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا
ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة
الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة أجمع المسلمون أن الملائكة
مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم
النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق
الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير
المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الآية وبقوله كرام بررة وبقوله لا يمسه إلا المطهرون ونحوه
من السمعيات وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم
والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن
نذكرها إن شاء الله بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار بأن
لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن للكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة
الكلام في الأقوال والأفعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم

يوجب

يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل
الأخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما
وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها شيء
لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا
يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ...
وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار
من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات من افترائهم
بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله
فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان وهل هما
المراد بالملكين أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في قوله
وما أنزل وما يعلمان من أحد ما نافية أو موجبة فأكثر المفسرين على
أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر
وتعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فإنه
سحر فلا تكفر فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به
ليس بمعصية وهو لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن أبي
عمران أنه ذكر عنده هاروت وماروت وأنهما يعلمان السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين فقال خالد لم ينزل
عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي

فرقة كفر أنهما ما أذن لهما في تعليمه بشرط أن يبينا أنه
كفر وأنه امتحان من الله وابتلاء فكيف بل تنزيههما عن كبائر المعاصي
والكفر المذكورة في تلك الأخبار وقول خالد بن أبي عمران وما قاله
وهو قول ابن عباس قال مكي وتقويم الكلام وما كفر سليمان يريد
بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود
وما أنزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود
عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فأكذبهم الله في ذلك
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من
أهل بابل وقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا
على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل
كانا ملكين من بني إسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي
والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير أبي محمد مكي
حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله بأنهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما أمرهم ومما يذكرونه قصة إبليس وأنه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه من الملائكة
بقوله فسجدوا إلا إبليس وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر
ينفون ذلك وأنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين

طردتهم

طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا والاستثناء من غير
الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به
من علم إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم آخرون
كذلك حتى سجد له من ذكر الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها
صحاح الأخبار فلا يشتغل بها والله أعلم. الباب الثالث
فيما يخصهم في الأمور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر
وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات
والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو
أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار
فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر
والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعياء
والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار
وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص
من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار
ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات

ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه
يد ابن قميئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف
فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث
وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك
من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته
فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف
فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى
ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم
تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ
والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم
منزهة غالبا عن ذلك وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله
عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم
إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن
بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات
التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في
يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه
لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك ..

جسمه

جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم
قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم
إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا
فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر
مما نأخذ بعد في بيانه فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة
أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي
بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد قال أبو الحسن علي بن خلف
قال محمد بن أحمد قال محمد بن يوسف قال البخاري قال عبيد بن إسماعيل
قال أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله
عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل
إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية حتى كان يخيل إليه أنه
كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس
الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع
وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض
من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر
ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء
ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه

أو شين يعيبه أو نقص في صرفه لقيام الدليل والإجماع على
عصمته من هذا وأما ما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات
كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له
ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان
وهو أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه
في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا
من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي
في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من
نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر
وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر
عبد الرزاق وعن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد

أحدهما

أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى
أنكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان
وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه
إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه
وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا
دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري
من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا أشد
ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل
إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من
غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء
طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا

فصل

هذا حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور
الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن
بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي

وعن واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر
قال حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد بن عمرويه حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري
وأحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة قال
أبو النجاشي قال حدثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا
نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا
ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا
أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر
دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي
فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه
في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم
لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله
ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب
والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله
ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي
وفعل ما قاله وقد قال له الله تعالى وشاورهم في الأمر وأراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الأنصار فلما
أخبروه

أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا
التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه
فيها ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي
أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها
والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن
الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية
والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر
وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير
المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل
بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن
قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة
من النار حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا أبو داود
حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب
بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من

يقضي فيما حسب أنه صادق وبأفضله ويجري أحكامه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله
في ذلك فإنه تعالى لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت
ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجته إلى
اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه
والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو
كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء
به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته
لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو إذا في ذلك
بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما
لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي
يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين
قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه
الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك
كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ...
ويستأثر بما يشاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل

فصل وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال
غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه
في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب
وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض
مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف
باطنها فجائز ورودها في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته
ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة
التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه
وسلم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما
بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية
فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا
عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي
أن تكون له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب فإن قلت
فما معنى إذا قوله تعالى في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه
وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا تستربْ
في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في
هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم
نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها .

إليه وبقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى في نفسه
ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها فالله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وتطليق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت
جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
تعالى وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح
هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه
صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل أنه لم
يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل
مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا
من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث
قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما
أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق
به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا
نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء
فكيف سيد الأنبياء قال القشيري وهذا إقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال
رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وإنما
جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها

بإزالة

بإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله أعلم
نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما
طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل كان أمره لزيد
بإمساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا إذا
جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن ونظرة الفجأة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر
تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول أبو بكر ابن فورك وقال
إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما
في نفسه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه
وسلم فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه

ابن متبناه أو يستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن
خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله
له ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن
وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه
الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه. فصل فإن قلت قد
تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه
لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا
مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر
نا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا نا محمد بن يوسف
نا محمد بن إسماعيل نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق وابن هشام
أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما
حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية
ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له
أهجر

أهجر استفهموه فقالوا دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه
أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه
فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب
الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر. قال أئمتنا في هذا الحديث
النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من
عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم
أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى
فساد في شريعته من هذيان أو اختلال كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر
رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا
أفحش وأهجر تعدية هجر وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار
على من قال لا نكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة
وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه
عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر
أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه
والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم

أن شيئا ولا على أمته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو
هذا وأما على رواية أهجر وهي رواية أبي إسحاق والمستملي في الصحيح
في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا
إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي
جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا
ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء
في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم صلى الله عليه وسلم
أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم
إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله
عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه إذ لم يكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا
ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من
ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد
علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم
أكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بكتاب
الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن
في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك
الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل إنه كان
من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل
يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة
أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في
هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه
منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي
ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة
أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك قطرقا وقيل فقد وجدت حديثه أيضا
الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه نا أبو علي
الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي قال حدثنا
إبراهيم بن سفيان قال مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد
ابن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما
يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها

البادية في الفاقة وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو
لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح
أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من
لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند
الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله
أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه صلى الله
عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكر فإذا حكم صلى الله عليه
وسلم بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال الظاهر
ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على أمته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه
دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل
لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل
هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب
كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يريد بهذا أن
الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز
عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل على أنه
خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن
على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة
كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغير ذلك من دعواته
وقد ورد في صفاته في غير حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال
أنس

أنس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله
عليه وسلم من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث
أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقا
على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق
وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم
وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء
في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا
فهو له كفارة فإن قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه
وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى
يبلغ الماء الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا
إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار
الحاكم بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون

التوسط والصلح

هذا الحديث أصلا في قضيته ووجه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في حال غضبه ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو
غضبان فإنه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه
كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك ما في الحديث في إقادته عكاشة من
نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه
إن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت
ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة
أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر
مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك وقد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق
إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه وأما حديث سواد بن عمرو
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط
حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني قلت القصاص
يا رسول الله فكشف لي عن بطنه إنما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر
رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه
إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل وأما أفعاله
صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات

ما قدمناه

ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله
على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه
إلا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله
أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل
هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد
كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد
للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل
ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر
أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل
من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن
كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا
منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه
كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء
في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب

قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك
متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا
حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل
ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها
للعدو من قريش وقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت
الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر
للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له
الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو شيء من
اطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن
على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما
معنى قوله لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليها بئس ابن العشيرة
فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك قال ان
من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم كان
استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام
بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا
على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية
وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة

قال

قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى
صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو
تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه
كل الثقة ولا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة
ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما
معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم
لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم
الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء
ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست
في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله
عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله
اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك
عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال
الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى
عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال ان اسأتم فلها
فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه
وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك

ووجه ثالث أن قوله صلى الله عليه وسلم لشيء يحول لهم الموجب ليس
على معنى أنه قرر على معنى التسوية والإقلاع بأن شهد لهم
لا ينقصهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن يوحى
ضلّ عنه وكأنه قال الشيء يحول دونه فإنه شهد عنه بالجمع
وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم
لهم وتعريضهم على أن الله يبرئ على علمهم به فهذا الوجه الثالث
أن معنى قوله لشيء يحول لهم الموجب وأن الصحيح ولهم حكمة وبينونتهم شتى
أن الموجب وإنما هو دون أعني ثم بعد هذا قال هو صلى الله عليه وسلم
مبتدأ الحال وموبخا على هذا القيد ما اتفق ومنه قيل فإن قلت فما معنى فعل
يوسف عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم
سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله
لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك
إلا أن يشاء الله الآية فإذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه
ما فيه وأيضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس
فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير
له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك وأما قوله أيتها
العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه
ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير
هذا ولا يلزم أن نقول عن الأنبياء ما لم يثبت أنهم قالوه حتى يطلب
الخلاص

الخلاص وما يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فإن قيل فما الحكمة
في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم
السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم
بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى
وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه
وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله
تعالى كلها عدل وكلماته كلها جميعها صدق لا مبدل لكلماته
يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن
عملا وليعلم الله الذين آمنوا منكم ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل
والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا
بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم
ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر
وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين
الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي
حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد ابن محبوب حدثنا أبو عيسى

الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن
مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء
قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة وكما قال
تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي
هريرة ما زال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
وما عليه خطيئة وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر
أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث آخر
إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى الثعلبي أن كل
من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب
الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وحكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل
اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت له جدة عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من
الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه
ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة
التي نص الله عليها وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع

أهل

أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه
رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنته سليما وبلاء كثيرا
من فتنته في كون الدود في جنبه أصغاره أو لفعل المعصية في داره وقد علم
عنده وقدرة قليلة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قالت عائشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك أجرين قال أجل وذلك كذلك
وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي صلى الله
عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن
كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن أنس عنه صلى الله عليه
وسلم إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله
تعالى من يعمل سوءا يجز به إن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له
كفارة وروي هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من

مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وفي رواية أبي سعيد ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا
حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه
وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه
كما تحت ورق الشجر وحكمة أخرى أن من عادة الله في الأمراض لأجسامهم
وتعاقب الأوجاع عليها مدة تنتهي عن قاتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك وهذا خلاف موت الفجأة
والأخذة كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل خامة الزرع
تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح
تكفؤها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المومن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه أن المومن مرزأ مصاب
بالبلاء والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله تعالى منطاع لذلك لين
الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها فإذا أراح الله عن المومن رياح البلايا
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر
ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان

بغير

بغير هذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه
سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر
وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته
والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة ..
الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه حينئذ على غرة وأخذه بغتة
من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع
قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد
كانجعاف الأرزة وكما قال الله تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية فجاء
جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد
بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجأة وفي حديث إبراهيم كانوا
يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجأة وحكمة
ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول
الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض
عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل
من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى
أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد
طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله
وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب
لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة والله أعلم بمراده ثم رأى
الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سير عباد الله المومنين وأوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما
ويستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم
يرجعون ولذلك ما قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة سبحان الله
كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة للمومن
وأخذة أسف للكافر أو الفاجر وذلك أن الموت يأتي المومن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من
نصب الدنيا وأذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه
وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره
شيء له وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب لقاء الله
أحب

أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه القسم الرابع في تصرف
وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام قال القاضي أبو
الفضل وفقه الله قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من
الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه وقال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب أليم وقال الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا
سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المومنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظة
لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار
بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته
لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو النبي

صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكتنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه
وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا
فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به
فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى أذاه
بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه
هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله وأن ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله يا نبي الله
وقد يدعونه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال يسمونهم محمدا ثم يلعنونهم وروي
أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه
محمد

محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد
ابن زيد بن الخطاب لا أرى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى
محمدا ما عشت أبدا وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء
الأنبياء ثم أمسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل
إطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد أخبر
صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله
عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد
وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في
هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الأول في بيان ما هو في حقه صلى
الله عليه وسلم سب أو نقص من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله وإياك
أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في
نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه
بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه
ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه
تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب
إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف

من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا
كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى ومن لدن الصحابة رضوان الله عليهم
إلى هلم جرا قال أبو بكر ابن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك ابن أنس والليث وأحمد
وإسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل وهو مقتضى قول
أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال
أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم
ولكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد ابن مسلم عن مالك وحكى الطبري
مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو
كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف
في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني
إن شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار
وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض
الظاهرية وهو أبو محمد علي ابن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف
به والمعروف ما قدمناه قال محمد ابن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله
وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج إبراهيم
ابن

ابن حسين ابن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد ابن الوليد مالك ابن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال أبو سليمان الخطابي
لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف
عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه أو شتمه أو عابه
أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق وقد فرض الله
تعالى توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان ابن كنانة من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير
في صلبه حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا
يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه
قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه
قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر
قتل ولم يستتب وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره
ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف وقال عبد الله ابن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء
النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ أراد

بدعيه قتل وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على
نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة
وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال
يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد ابن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما
يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه
ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم إيمان وقال أحمد ابن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي
صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله
فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو
الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب
فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله
وثواب ذلك قال حبيب ابن الربيع لأن ادعاء التأويل في لفظ صراح
لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر
له فوجب إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله ابن عتاب في عشار قال لرجل
أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد
جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه

بحق

بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم
وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها
إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
أبي العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فأحضر له
القاضي يحيى ابن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته
وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى ابن عمر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد الله ابن المرابط من قال إن النبي صلى
الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز
ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال
حبيب ابن الربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه صلى الله عليه
وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو
مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا

أو تنقصا يجب قتله فلم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم
وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك أقول حكم
من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من
جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى
نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به تنقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله
عليه وسلم فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى
أذاه بأذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم
خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال قتل الخراصون وقاتلهم الله
أنى يؤفكون أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين
ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ورسوله أشد من ذلك
وهو القتل قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن
تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم وما يحبط العمل إلا الكفر

والكافر

والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن
سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل
التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه
وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
أبي ذر الهروي إجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه
حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى
بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين
بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب
أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب ابن
الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله
غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه
لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل
وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر أن
رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا
فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك أمر بقتل جماعة ممن كان

يوم بدر من الكفار وحينئذ كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل
جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه
وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من
بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من
يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروي أيضا أن امرأة كانت
تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد
فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير
إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر
رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر رضي الله عنه ذلك فقال له لولا ما
فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت
امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح
فيها عنزان وعن ابن عباس كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم

أن أعمى

وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي
حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق فغضب على
رجل من المسلمين وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث
أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك إلا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد
فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل
ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر
إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك فقال
يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي أبو الفضل كذا وقع في هذه
الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم
ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر وقد
ذكرنا مذهب العراقيين بقتله فلعلهم ممن لم يشتهر بعلم أو من لا يوثق
بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف

فإن هو سب أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لما بنا على أصله
وإن قال بقي خلاف على قتل من سبه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم فبغضه
علامة مرض قلبه ومن هنا وشر بصوبته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهو رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري وأبي
حنيفة والكوفيين والقول الآخر إنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم
يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو
كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال أهل التفسير
هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم
ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به
أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم
من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة
مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله
عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل
فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له
السلام

السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه
لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان فاعلم وفقنا الله وإياك أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يستألف عليه الناس
ويميل قلوبهم ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا
ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا
يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان
وبذلك أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم
إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما
استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود
وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري
الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة
وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين

مشتبهة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر ولكن تلك الكلمات
إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها
إذا نمت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر
صلى الله عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل
حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا وأخلص سرا كما أظهر جهرا ونفع
الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار
كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال وقال ولعله لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أقوالهم ما رفع
وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي أو
عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى هذا يحمل أمر اليهودي
في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى كيف نبهت عليه
عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله
عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم
فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا...
البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه
فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وأيضا
فإن الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من
أهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز
بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم

بالنفاق

بالنفاق ومن جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر
منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم
أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى ما
حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال أولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس
في علمها وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن ابن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة
الله الآية وقال معناه إذا أظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسختها ما كان قبلها وقال بعض
مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما
رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح

أهلها فلم يرد الحاضرون ولا أنه من أذى في الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه، وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم
ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه
جميع البشر، وقيل إن المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال
وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب، ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله
عليه وسلم، قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو
تعريض بالأذى، قال القاضي أبو الفضل قد قدمنا أن الأذى والسب
في حقه صلى الله عليه وسلم سواء، وقال القاضي أبو محمد ابن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل
كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب
الأدلة للأمر المحتمل، والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه
مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون، ولذلك
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه
قبل، وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو أعظم من سبه
إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من عينه منهم وإنزالهم من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب، وكتب على من شاء منهم الجلاء
وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم
سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم
وأموالهم

وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فإن قلت فقد
جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما
انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله، فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه، فإن هذه من
حرمات الله التي انتقم لها، وإنما يكون ما لا ينتقم منه فيما تعلق بسوء
أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر
من السفه كجبذ الأعرابي إزاره حتى أثر في عنقه، وكرفع صوت الآخر عنده، وكجحد
الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة، وكما كان من تظاهر
زوجيه عليه، وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه، أو يكون هذا مما آذاه به كافر
رجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره، وعن الأعرابي الذي أراد
قتله، وعن اليهودية التي سمته، وقد قيل قتلها، ومثل هذا مما يبلغه من
أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف
غيرهم كما قررناه قبل، وبالله التوفيق. فصل قال القاضي تقدم
الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو
محال، فهذا وجه بين لا إشكال فيه. الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء
وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب
والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر

من تعنيته أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو
في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة
في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور
علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر
الخبر بها عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام ونوع
من السب في حقه وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما
لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون
تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما
ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان
وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله
عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد ابن أبي زيد
لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله
في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله
على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر فهو
كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق

والقصاص

والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم
وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله أو أتى به أو ينفي
نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر
غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك
كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر
لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة
فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
التوبة عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد
أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم
إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء
تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فهو
بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن
تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا
أو جهرا وقال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية
على الله تعالى وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس

أو قال بعد نبيكم نبي لأنه يستتاب إن كان معلنا بذلك وإلا قتل
وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله
تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوءة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله
عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون
من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود فيقتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو أنه
كان بتاهرت ولم يكن بتهامة فيقتل لأن هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع أن يأتي من الكلام
بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم
أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل
أغضبه غريمه فقال له صل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب
لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت
من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم وقال أبو إسحاق البرقي وأصبغ
ابن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره
بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن معه قرينة على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة صلوات
الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس
غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا إلى
القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة
عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق اليوم
فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم
من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه
إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لابد من إمعان النظر فيه هذا
معنى كلامه وحكي عن أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله
العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء

وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان في ذلك وكذلك
أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث
لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا
سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه
في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل
في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا
العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل
قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني
هاشم وقال أردت الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله
عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض
آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لأبي
موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم عليه السلام أنه إن ثبت
عليه ذلك قتل قال القاضي وفقه الله وقد كان شيوخنا فيمن قال لشاهد
شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون

اختلف

فكيف

فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ عنده وكان القاضي أبو محمد ابن منصور يتوقف عن القتل
لاحتمال عنده أن يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وأفتى فيها
قاضي قرطبة أبو عبد الله ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي
أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد
به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه
وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله ابن عيسى أيام قضائه أتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله وقال له
قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه

فصل الوجه الخامس أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه
ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله صلى الله عليه وسلم
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره
أو على التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق
التأسي وطريق التحقيق بل على قصد الترفيع لنفسه أو لغيره أو على سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم أو قصد الهزل
والتندير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء فقد قيل في النبي أو إن

اللفظ

كذبت فقد كذب الأنبياء أو لو أذنبت فقد أذنبوا أو أنا أسلم من
ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله أو قد صبرت كما صبر أولو
العزم أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على أكثر مما صبرت
وكقول المتنبي

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب   غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي صلى
الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا ا

لولا انقطاع الوحي بعد محمد   قلنا محمد عن أبيه بديل

هو مثله في الفضل إلا أنه   لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى
الله عليه وسلم في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن
هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه
أشد ونحو منه قول الآخر

وإذا ما رفعت راياته   صفقت بين جناحي جبريل

وقول الآخر من أهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا   فصبر الله قلب رضوان

وكقول

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى   وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما
ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان
المعري بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة
والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء
وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا
عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد
الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين
كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن
جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به

ومألوف عادته في قوله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه
ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي
نواس قوله

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ◦ فإن عصا موسى بكف خصيب

وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن
عسكره من ليلته وذكر القتبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب
قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ◦ خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد أنكروا عليه أيضا قوله

كيف لا يدنيك من أمل ◦ من رسول الله من نفره

لأن حق الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف
فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت
فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من رواية
ابن أبي مريم في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى
الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا
أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر
لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال
جعلت

جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح
كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد
بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين
رآه من وجهه أو عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد
لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند ما
أنكر حاله من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك
فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى على
العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة
الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن
أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك
أمي فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه

فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في
استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية
له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله
فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة
الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر
بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم
النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه
إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله فصل
الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم
باختلاف ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم
فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار
والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله
ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له
والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان القائل لذلك ممن
تصدى

تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو ..
شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك
من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان
فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء
الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه
السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين
ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر
به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي
الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف
على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد ابن أبي زيد
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال
إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل
بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في هذا الباب فليس
التفكه بعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد
لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين

بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى
رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه
والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف
من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم
ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار
لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين
بالخلق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف
وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر
السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار
ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر
على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن
قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو
كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال
مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله
وإن

وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك
عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو
التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله
ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر
بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع
إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته
وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو
الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه
وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى
الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو
بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته .
أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم فصل الوجه
السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه
عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر
ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم

له ومعرفة أخبار أحواله وسيرته وما لقيه من قومه وما عليه من معانات
عيشته كل ذلك الداعي إلى بحر الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه
العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا ابن خارج عن هذه الفنون الستة
إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في
مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة
الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه
أو يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما
انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن
فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم
في ابتداء حاله وقال ما من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى
بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره
على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب
نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته
وتدريب برعايتها لسياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة
في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة
عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر
عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على
صناديد

صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم شيئا فشيئا وتنمى أمره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار
الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة
المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال أن
ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفيان
عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب
ملك أبيه وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله فهي
مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى من القرآن
العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه
وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك
من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر
ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها
فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية
في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين
أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك

من عزائم هذا شق قلبه وإخراج حشوته كلا وقال وحبائله وغاية قوة
نفسه وثبات وعيه وهو بمنزلة المنتهى هلاكه وحتم موته وفنائه
وهلم جرا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة
بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة
فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما
ذكرناه فمن أورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا
ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق
بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر
الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي
أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب
أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم
الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له
إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد
حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم
عرب

عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه
واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا
نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر
مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث
فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل
بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعنى واهية الإسناد
وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر ابن فورك تكلفه في مشكله الكلام على
أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها
إزالة اللبس واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس
فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما
لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة
والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الأحوال
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه

علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه
الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه
وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم
على مجاري أعماله وأقواله صلى الله عليه وسلم تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة
ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف
في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب
لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا
ما علم وهل يمكن ألا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه
ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل
تجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر
فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا
من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له
من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم
أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في
العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان مثل هذا
بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله
في حقه صلى الله عليه وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح
الشيء

الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر ويهونه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه
فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة
ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان
السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى
الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه
بمن كفر به الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه
وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه
صلى الله عليه وسلم وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله
وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد
فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور
العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم
توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم
الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد
القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه

حق وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحقوق قال الشيخ أبو الحسن القابسي
رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو
حده وقال أبو محمد ابن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه
وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن
ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا
فحكى القاضي أبو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال
أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي
الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على
صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال
القاضي أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله
عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه
حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه
فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد ابن سحنون ولم يزل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لأنه لم ينتقل من
دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد

كالزنديق

كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال القاضي أبو
محمد ابن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه
وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته
والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق
المعرة بجنسه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول
فيه التوبة لأن الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق
فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو يقذف فإن
توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضا فإن توبة المرتد
إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها ولم يقتل
ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم
حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
أبو الفضل يريد والله أعلم لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن بتوبته وإظهار إنابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله أعلم بسريرته وبقي حكم السب
عليه وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ارتد عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين
التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله
حدا لا كفرا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم
عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم

بعرض عنه لأنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نكل وإن أبى
قتل فيحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الثاني أن يشتهر
ويظهر بأقواله منافيا وعرف بمحض الكلام فيه فيقول من لم يره ردة فهو
يوجب القتل فيه حدا وإنما نقول في الجامع فظير لمانع إنكاره
ما شهد عليه به أو إظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا أ
لثبات كلمة الكفر في النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله
من حقه وأجرينا حكمه في ميراثه وغيره حكم الزنديق إذا ظهر
عليه وأنكر أو تاب فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد
عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكم من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع له بذلك لإقراره
بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه
وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض
أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك
الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره ..
بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفر كتكذيبه أو تكفيره ونحوه
فهذا مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله المطلع على
صحة إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما
شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة
الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج

عليها

عليها وأما اختلافهم في الموارثة وغيرها على ما نبينها تتضح لها
مقاصدهم إن شاء الله تعالى فصل وإذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح فالاختلاف على الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل العلم
إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على
تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان
وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري
ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب
الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين عنه أنه
لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى
الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه وحكي أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام
لم يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد
والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء
في الردة وبه قال أبو حنيفة والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك
سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر وهو أحد قولي
الشافعي وقول أحمد وإسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي
الاستظهار إلا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ أبو محمد
ابن أبي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك أيضا الذي آخذ به

في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا
قتل. وقال أبو الحسن ابن القصار وفي تأخيره ثلاثا روايتان، وعن مالك في
هذه الحال واجب أو مستحب؟ واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا
أصحاب الرأي، وروي عن أبي بكر الصديق أنه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها، وقال الشافعي مرة: فقال إن لم يتب مكانه قتل، واستحسنه
المزني. وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى قتل، وروي
عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين، وقال النخعي يستتاب أبدا، وبه
أخذ الثوري ما رجيت توبته. وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة، وفي كتاب
محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت
عنقه. واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة
ليتوب أم لا؟ فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا
ويؤتى من الطعام بما لا يضره. وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة
بالقتل ويعرض عليه الإسلام. وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار. قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها
من السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء، ويوقف ماله
إذا خيف أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى، وكذلك يستتاب
أبدا كلما رجع وارتد، وقد استتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا. قال ابن وهب عن مالك يستتاب
أبدا كلما رجع، وهو قول الشافعي وأحمد، وقاله ابن القاسم. وقال
إسحاق يقتل في الرابعة. وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل

دون

دون استتابة، وإن تاب ضرب أو حبس ولم يخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة. وقال ابن المنذر: ولا نعلم أحدا أوجب على
المرتد في المرة الأولى أدبا إذا رجع، وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي. فصل: هذا حكم من ثبت عليه ذلك مما يجب ثبوته من
إقرار أو عدول ولم يدفع فيهم، فأما من لم تتم الشهادة عليه بما
شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس، أو ثبت قوله لكن احتمل
ولم يكن صريحا، وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته، فهذا
يدرأ عنه القتل، ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة
حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون، فمن قوي أمره
أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود
إلى الغاية التي هي منتهى طاقته، مما لا يمنعه القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته، وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف
عن قتله لمعنى أوجبه، وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره،
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله. وقد روى
الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة، فإذا تاب نكل. ولمالك في العتبية
وكتاب محمد من رواية أشهب: إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه. وقاله
سحنون. وأفتى أبو عبد الله ابن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الوجيع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته. وقال القابسي في مثل هذا: ومن كان أقصى
أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن

ويبسط لسانه ولو كان ربيه من البينة ما عسى أن يقبح ويحمل عليه
من القبيح ما يصير وقال في مثله ثم أشكل أمره يشدد في القيود شدا ويضيق
عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة أخرى مثلها
ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن
نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه
سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحهما ما أسقطهما عنه ولم
يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد
عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز
فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا
يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله
ولي الإرشاد فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو
عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة
فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من
بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم
نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا
أهل حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام
عنهم

[هامش: يسمع]

عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه
الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو
المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم
فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا
سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا
للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله
تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم
نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره
وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل
لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه
وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا
لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى وقال مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء
عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية

وعن محمد بن سحنون وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا
لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب
مالك أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من
النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك إلا أن
يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر أن راهبا تناول النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن
القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا
موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله
وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما
هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا قال النصراني
ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع
المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم
طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن
الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم قال
محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن
دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على
قتلنا

قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه
استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال
سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز
لنا ذلك في قول قال وكذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه
وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي أبو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه
مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا
فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكاه أبو
المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على
محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة ..
وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم
سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم
أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه
لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال
ولقد كدت ألا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم
حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد
كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني
مالك فكتبت بأن يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله

والكتب ثم تحرق بالنار وقعا ران انه تخفيف من الحد وما أوثق به فكتب
بين وبين نوبته فلا أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وأفتى عبيد الله ابن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا
الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى
لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها به قال
غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القاسم
ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا
يستتاب وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل
عنه بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد
لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله
فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي
إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا
يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل
لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل
بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من
قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال
أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا بذلك وإن كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على

على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من
الميراث في شيء وكذلك لو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى
عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول
الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه
لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك
في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم
في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن
كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من
المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ولا يجوز وصاياه ولا
عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال أبو محمد ابن
أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا
تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث وقال أبو محمد فيمن
سب الله تعالى ثم مات ولم تعرف عليه بينة أو لم تقبل أنه لا يصلى
عليه وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول
الله صلى الله عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق به دين الإسلام أن
ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه
ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن
أحمد وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر ابن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث
وإسحاق وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما

فيما كسبه قبل ارتداده وما اكتسبه في ارتداده فللمسلمين وتفصيل
أبي الحسن في ذلك في جوابه حسن بيّن وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون
واختلف فيها على قولين مالك في ميراث الزنديق من يرثه ورثته وقيل
من المسلمين قامت عليه البينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر
التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر
لدين الإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به
أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد
وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه
به وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال
وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل
أبو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين ليس على
جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره الباب الثالث في حكم من سب
الله تعالى وملائكته وكتبه وأنبياءه وآل النبي صلى الله عليه
وسلم وأزواجه وصحبه لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر
حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط
وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق
ابن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون

افتراء

افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب
وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك
مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم
بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل
منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي
زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن
ألعن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما
فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة
هارون ابن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير
التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله
من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا
كله فأفتى إبراهيم بن حسين ابن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير
لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك
ابن حبيب وإبراهيم بن حسين ابن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة
في الأدب لاحتمال الكلام وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في ساب
الله بإلغاء استتابته أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله
فأشبه قصد الكفر بغير سب الله وإظهاره إلى تنقل إلى دين آخر
من الأديان المخالفة لدين الإسلام ووجه ترك استتابته أنه لما
ظهر منه ذلك بعد إظهاره الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه

ثم يتحقق به إذن وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له
بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذ لا انتقال من دين إلى آخر وأظهر
السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من
عنقه بخلاف الأول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على
مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه
قبل وذكرنا الخلاف في فصوله. فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى ما
لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على
طريق التأويل والاجتهاد والخطإ المفضي إلى الهوى والبدعة
من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك وأصحابه
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول
مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في
عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه
فسر قول مالك في الموطإ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه
من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم
ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون
أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال

وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله فيه في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما
قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم
من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل
وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
إنه كافر واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين
أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج
القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من
ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع
ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق
كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل
توبته قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري
من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى
هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر
عن الشافعي لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن
قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال
بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث

وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من
قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن
حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول وممن
روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب وابن عمر
والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام
الإسلام عليهم قال إسماعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية
وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد
في الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله وإن لم يقتله قتله
وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل
أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه
على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة
فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين قال فمن يقول يؤدي به مساقه
إلى الكفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤدي به قوله إليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي
قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد
المؤمنين وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة
ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم ولهذا قال
سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع أصحاب مالك
المغيرة

المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من
الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده
واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم
منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق
وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا
قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه
مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل
لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في
موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال أيضا نورث ميتهم ورثتهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير
بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله
ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى
وقال مرة من اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق
فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في
أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن
الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها
عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ
في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال
صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع

الشهادة، ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع وهو قاطع من
شرع ومعنى قياس عليه، وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة
للتأويل، فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في
الإسلام، وتسميته الرافضة بالشرك، وإطلاق اللعنة عليهم، وكذلك في
الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء، فقد يحتج بها من يقول بالتكفير، وقد يجيب
الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على
طريق التغليظ، وكفر دون كفر، وإشراك دون إشراك، وقد ورد مثله في الرياء
وعقوق الوالدين والزوج والزور وغير معصية، وإذا كان محتملا للأمرين
فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع، وقوله في الخوارج هم شر البرية، وهذه
صفة الكفار، وقال: شر قتيل تحت أديم السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه،
وقال: فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد، وظاهر هذا الكفر، لا سيما مع
تشبيههم بعاد، فيحتج به من يرى تكفيرهم، فيقول له الآخر: إنما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم، بدليله من الحديث
نفسه: يقتلون أهل الإسلام، فقتلهم ها هنا حد لا كفر، وذكر عاد
تشبيه للقتل وحله، لا للمقتول، وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره،
ويعارضه بقول خالد في الحديث: دعني أضرب عنقه يا رسول الله،
فقال: لعله يصلي. فإن احتج بقوله صلى الله عليه وسلم: يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم، فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم، وكذلك قوله: يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم
على فوقه، وبقوله: سبق الفرث والدم، يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام
بشيء، أجابه الآخر أن معنى: لا يجاوز حناجرهم، لا يفهمون معانيه

بقلوبهم

بقلوبهم، ولا تنشرح له صدورهم، ولا تعمل به جوارحهم،
وعارضهم بقوله: ويتمارى في الفوق، وهذا يقتضي التشكك
في حاله. وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج في هذه الأمة، ولم يقل
منها، وتحرير أبي سعيد الرواية، وإتقانه اللفظة، أجابهم الآخرون
بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة، بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض، وكونهم من الأمة، مع أنه قد روي عن
أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم في هذا الحديث: يخرج من أمتي
وسيكون من أمتي، وحروف المعاني مشتركة، فلا تعويل على إخراجهم
من الأمة بفي، ولا على إدخالهم فيها بمن، لكن أبا سعيد رضي الله
عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه، وهذا مما يدل على سعة
فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ
وتحريرهم لها، وتوقيهم في الرواية. هذه المذاهب المعروفة لأهل
السنة، ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب: إن الكفر بالله الجهل به، لا يكفر أحد بغير
ذلك. وقال أبو الهذيل: إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله
بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر، وكل من أثبت
شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر. وقال بعض المتكلمين: إن كان
ممن عرف الأصل وبنى عليه، وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر،
وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق، إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل
فهو مخطئ غير كافر. وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب

أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما كان غامضة للتأويل وقال روي في
ذا الحاكم وأول ممن نشأ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين واحد
والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي
أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله العنبري عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم
عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول
الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة . .
اليهود والنصارى وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن
معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود
وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي
أبو بكر لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك
فقد كذب النص أو التوقيف أو شك فيه والتكذيب أو الشك فيه
لا يقع إلا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو
يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس
فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل
مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله
أو مع الله فهو كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من
الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم
أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان

وغيرهم

وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف
بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم
وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه
متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره
أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع
المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله
في أحد أشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه
أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال
بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها
أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالإلهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث
إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من
الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى

في الحاضرة من جهة أو لم ير عصمة فهو كافر بالإجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة
فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من
الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة
والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح
لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل
الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به
وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب
فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو
استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل
نبيا أو حاربه فهو كافر بالإجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض
القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير إذ في ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع
إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف
من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن
قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز
أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم

أو

أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى
العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين
بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده فكذلك كل
إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو
من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب
إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم
أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل
الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار
مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه
خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين
وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على
ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك
في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا وكذلك وقع
الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على
نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال
الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم
أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده
واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من
خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى
تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة

بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم عليا
وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا
من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل
القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك
في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي
الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى
الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر
إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس
والبيع مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون
أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح
فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل
القتل أو شرب الخمر أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب
الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير
كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل
المتواتر من فعل الرسول ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب
الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله
علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول
صلى الله عليه وسلم خبر الواحد وكذلك أجمع على تكفير من قال من

الخوارج

الخوارج إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم
أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول المتصوفة إن العبادة (بعض)
وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها
وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر
منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب
في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة
المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله
عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين
وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له
سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا
تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر الرسول صلى الله عليه
وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة
والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن
تلك الأفعال هي صفة عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله
بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب

بذلك بعد ولا ترتاب بعد والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر بالاتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره
التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز
على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به أدخل الاسترابة في جميع
الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن
قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا منه أو غير شيئا منه
أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم أنه ليس بحجة
للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الصيمري إنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول
وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم حجة له أو في خلق السماوات والأرض دليل على الله لمخالفتهم
الإجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من أنكر شيئا مما نص فيه
القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالإسلام واحتج لإنكاره
إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم
على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من أنكر
الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بالإجماع

للنص

للنص عليه والإجماع الأمة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف
بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم
أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل
العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء فأما من أنكر ما عرف بالتواتر
من الأخبار والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي
إلى إنكار قاعدة من الدين كإنكار غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود
أبي بكر وعمر أو قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس
في إنكاره جحد شريعة فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوع
العلم له إذ ليس في ذلك أكثر من المباهتة كإنكار هشام وعباد ..
وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فأما إن ضعف ذلك من أجل
تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره بذلك لسريانه إلى
إبطال الشريعة فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار
في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع
لشروط الإجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم
من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه
وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع وذهب آخرون إلى التوقف

فنكفر من خالف إجماع الكافة عن نقل كتكفير النظام بإنكاره
الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف على احتجاجهم به
خارق للإجماع قال القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله هو
الجهل بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر
أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل
نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر أو يقوم
دليل على ذلك فقد كفر ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما يقارنه من
الكفر فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور أحدها الجهل
بالله تعالى والثاني أن يأتي فعلا أو يقول قولا يخبر الله ورسوله
أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر كالسجود للصنم
والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها في أعيادهم أو
يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وإن لم يكونا جهلا بالله فهما علم أن فاعلهما كافر منسلخ
من الإيمان فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية أو جحدها
مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على
الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى
هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه وأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا
فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره وقال به أبو
الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان

وإليه

وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته حق
واحتج هؤلاء بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم
إنما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي
وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث
أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا
الأقل وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن قدر بمعنى
قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه
فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء
عليها وغضبا لعصيانها